

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ميدان: التاريخ
تخصص: الوطن العربي المعاصر



كلية: الانسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر

مالك بن نبي وقضايا عصره

(الاستعمار والاستشراق نموذجاً) 1905 - 1973


د. أمال معوشي

- رحمون حبيبة

لجنة المناقشة


الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
حسين شريف		جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
أمال معوشي	محاضر ا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
عباس فتحي		جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

السنة الجامعية : 2020-2021



" من عادة التاريخ أن لا يلتفت للأمم التي
تغط في نومها وإنما يتركها لأحلامها التي
تطربها حيناً وتزعجها حيناً آخر "

مالك بن نبي



إهداء

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانه لا نحصي ثناء عليك أنت
كما أثنيت على نفسك خلقتنا فأبدعت، فأعطيت فأفضت، فلا حصر
لنعملك ولا حدود لفضلك، وصلي وسلم على أشرف عبادك وأكمل خلقك
خاتم المرسلين ومعلم المعلمين نبينا ورسولا محمد بن عبد الله الأمين
خير من علم وأفضل ما نصح.

ثم أرسل بقلبي ثم قلبي كل شكر وتقدير لوالدين العزيزين الذي لم يبخلا
علي بدعائهما ومساعدتهما لما وصلت لهذه المرحلة

وإلى كل العائلة من إخوة وأخوات. إلى زوجي الغالي رعاه الله وإلى

عائلته الكريمة

إلى كل من كان لهم أثر على حياتي، وإلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم

قلبي.

شكر وتقدير

أشكر الله القدير علي توفيقه بإتمام هذا العمل

فهو عز وجل أحق بشكر والحمد سبحانه وتعالى

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أنسب الفضل لأصحابه،

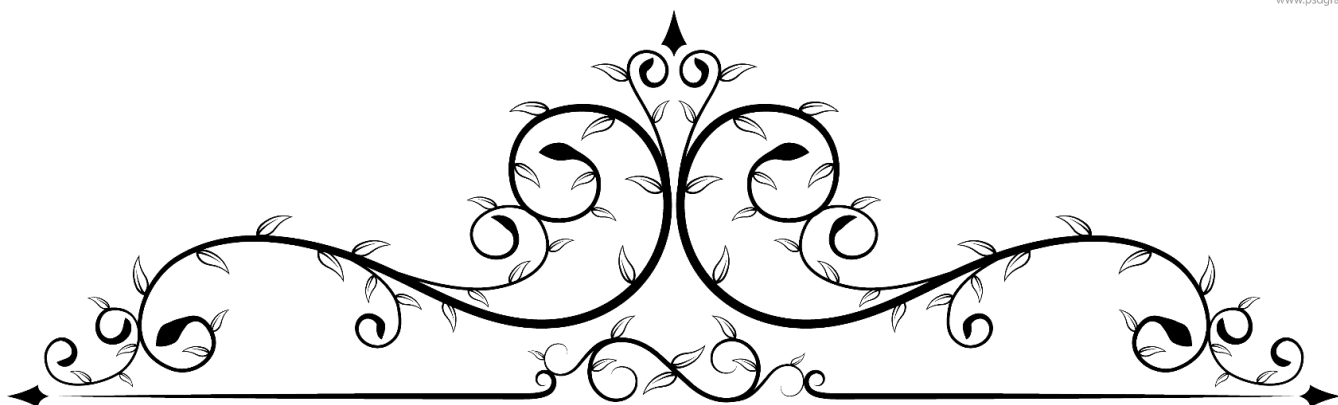
فأخص بشكر وتقدير لأستاذة المشرفة علي عملي هذا

"معوشي آمال" وعلى كل ما قدمته من توجهات ومعلومات

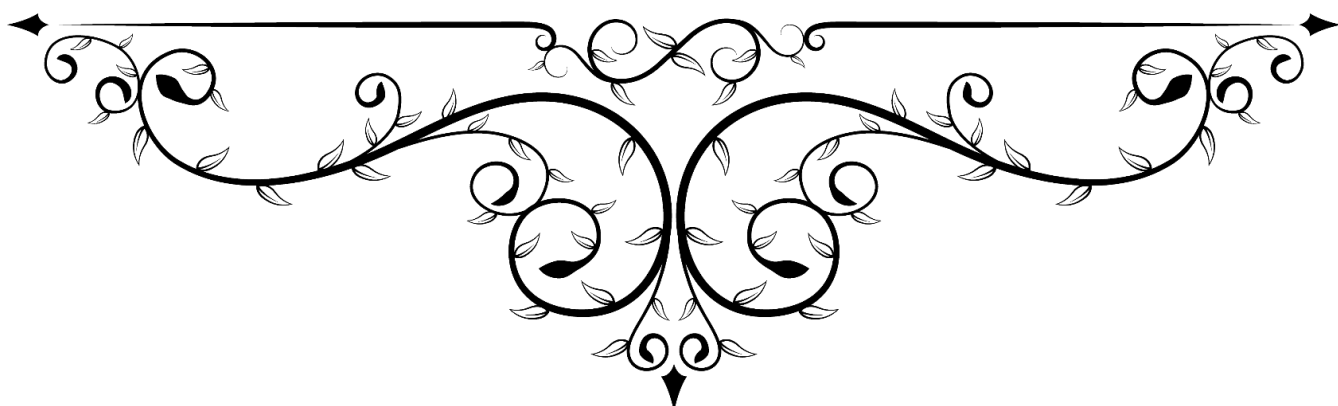
ساهمت في إثراء. موضوع دراستنا فلها جزيل شكر

وأشكر كل الأسرة التعليمية في قسم التاريخ.





المقدمة



يعد مالك بن نبي من أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين حيث تطرق إلى معالجة العديد من المشكلات الحضارية، التي قام بدراستها دراسة موضوعية من خلال اعتماده على منهج علمي دقيق متحررا فيه من جميع القيود التي عاشها في عصره، وقد توصل إلى معرفة أسباب خروج المجتمع الإسلامي من دورة الحضارية لمجري التاريخ ومساره وحاول إيجاد حلول للخروج من حالة الانحطاط والتقهقر لإعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس حضارية سليمة، ولقد سخر جهده الكبير الذي استغرق منه حياته وكل وقته بهدف أن يسعى إلى إعادة بناء وعي الفرد المسلم بصفة خاصة ووعي الانسان بصفة عامة.

-أهمية الموضوع:

لقد أعطيت أهمية لهذا الموضوع لأسباب منها: الضرورة العلمية وتخصصي في الوطن العربي المعاصر الذي جعلني أدرس مالك بن نبي باعتباره من أهم المفكرين المعاصرين المبدعين في مجال إنتاجهم العلمي و قدرته على معالجة المسائل الراهنة في مجال الفكري والسياسي عن طريق أسلوبه المميز في التحليل. ففكر مالك بن نبي ووعيه مدرسة في حد ذاتها ضف إلى ذلك تميزه بدقة أفكاره وعمقها.

-أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع لسببين أولها أسباب شخصية وهو إعجابا بشخصية مالك بن نبي القوية التي تميزت بعزيمة الارادة وحب العمل والعلم وقدرته على تجاوز جميع الصعوبات التي كان يعيشها في عهد استعمار، لذلك يعتبر مالك بن نبي مجاهدا بالقلم في سبيل العلم والأمة الإسلامية.

والسبب الآخر موضوعي هو أن نسعى إلى اضافة دراسة جديدة تخص الاستشراق والاستعمار ومدى خطر هذان العنصران على المجتمع الإسلامي والعالم أجمعه، ومحاولة منه إلى تجسيد الأفكار الحضارية التي وضعها هذه الشخصية كحلول لواقعنا الاجتماعي في الجزائر باعتبار أن مالك شخصية جزائرية عايشة جميع الظروف التي تمثلت في عهد الاستعمار وعهد الاستقلال معا وبتالي هو ادرى بحقيقة مشاكلنا وكيفية معالجتها.

-اشكالية البحث:

ومن هذا المنطلق طرحنا الاشكالية الرئيسية: ماهي أهم القضايا الفكرية التي أهتم بها بن نبي؟ وأثناء محاولة الاجابة عن الاشكالية اصطدمنا بمجموعة من التساؤلات الفرعية منها: من هو مالك بن نبي؟ وماهي الظروف التي ساهمت في تكوين شخصية مالك بن نبي؟ ماذا يقصد مالك بمعامل الاستعماري؟ وكيف يفسر

سيكولوجية الاستعمار؟ وما هو موقفه من الظاهرة الاستعمارية؟ وماهي مجالات الاستشراق من وجهة نظر بن نبي؟ وما هو موقفه منه؟.

- المنهج:

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الاستنتاجي الذي يتلاءم مع وصف الشخصية ودراسة الأفكار والوقائع وتحليلها، ومحاولة استخلاص النتائج منها.

- خطة البحث:

قمت بتقسيم هذا البحث إلى ثلاث فصول يعالج كل واحد منه جانب من جوانب الاشكالية حيث تعرضت في الفصل الاول على حياة مالك بن نبي يندرج تحته ثلاث مباحث قدمت في البحث الأول: مولده ونشأته وفي المبحث الثاني: تعليمه وهجرته والمبحث الثالث انتاجه الفكري كتقديم في البداية لهذه الشخصية لسهولة دراسة أفكارها فيما بعد والفصل الثاني بعنوان: الظاهرة الاستعمارية، تناولنا في مبحث الأول: معامل الاستعمار باعتباره كمؤثر سلبى خارجي في نفسية الانسان المستعمر والمبحث الثاني: قابلية الاستعمار بمعنى التقبل و الاستسلام للاستعمار و المبحث الثالث: سيكولوجية الاستعمار وفي الفصل الاخير كان عنوانه: الاستشراق من منظور مالك بن نبي ، المبحث الأول: مفهوم الاستشراق من وجهة نظر مالك بن نبي ، والمبحث الثاني: مجالات الاستشراق ، والمبحث الثالث: اتخاذ مالك بن نبي موقف من الاستشراق وانتاج المستشرقين، وقد تم تقسيم هذه الخطة كتسلسل منطقي في عناصرها وترتيبها حسب عناوين الفصول وفي كل فصل تندرج فيه مباحث لها علاقة بعناوين لفصل.

- أهم مصادر البحث و مراجعه :

شكلت مؤلفات مالك بن نبي أهم مصادر البحث فعلى سبيل المثال لا حصر كتاب "مذكرات شاهد القرن" لمالك بن نبي لأنه يخدم موضوعي خاصة في الفصل الأول لما يحتويه هذا الكتاب علي حياة مالك بن نبي ونشأته وانتاجه الفكري (الطفل - الطالب) يجسد فيها لنا معاناة الاستعمار ومكافحة الشعب الجزائري للحفاظ على هويته الوطنية.

- وكتاب انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي: الذي وظفته في الفصل الثالث الذي يخص الاستشراق وانتاج المستشرقين الغربيين وموقف مالك من الاستشراق وضرورة مواجهته.

- كتاب القضايا الكبرى لنفس الكاتب: الذي تحدث فيه عن أصناف المستشرقين ومدى تأثيرهم على الحياة المجتمع الاسلامي من آثار سلبية.

- كتاب الصراع الفكري: الذي تكلم فيه عن الاستعمار وقابلية الاستعمار لدى الشعب الجزائري خلال عهد الفرنسي في الجزائر وعدم ظهور صراع الأفكار للعيان في البلاد المستعمرة.

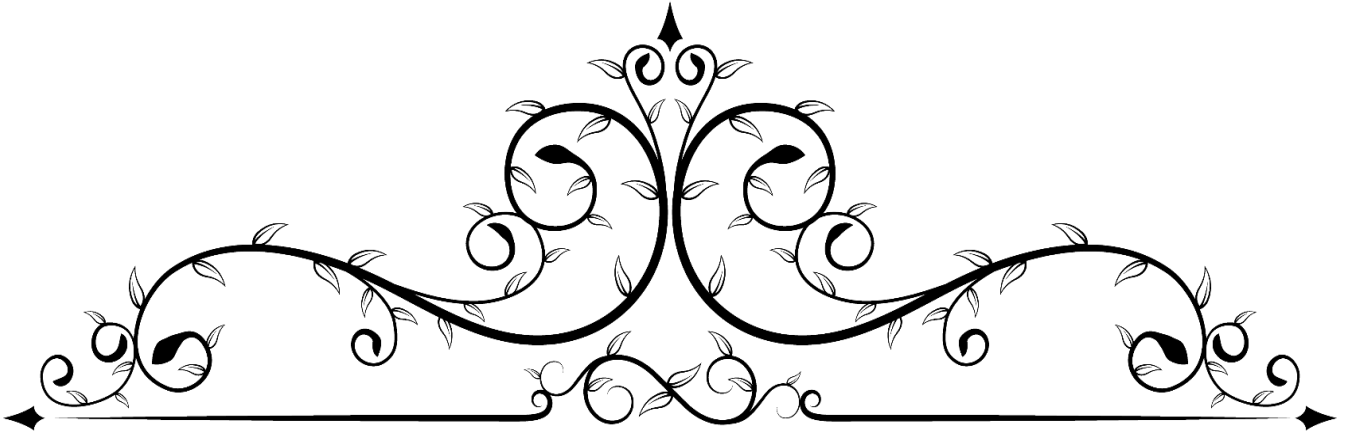
- وكتاب شروط النهضة: حيث يعتبر من أهم الكتب التي ألفها بن نبي لما تحتويه على أفكار تخص أهم المشكلات الحضارية و تحدث فيه عن القيم الحضارية التي يجب أن تكون أساس كل حضارة لذا استعنت بهذا الكتاب في الفصل الثاني حيث ساعدني في دراسة معامل الاستعماري و القابلية للاستعمار أي عن الاستعمار ومسبباته بصفة عامة.

بالإضافة للمذكرات الجامعية: مثال مذكرة ماجستير تحت عنوان معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك لصاحبها محمد العاطف وكذلك مذكر ماجستير حسن محمد العقبي "مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة استخدمتهما في قضية الاستعمار وجزء من شخصية مالك بن نبي.

- صعوبات البحث:

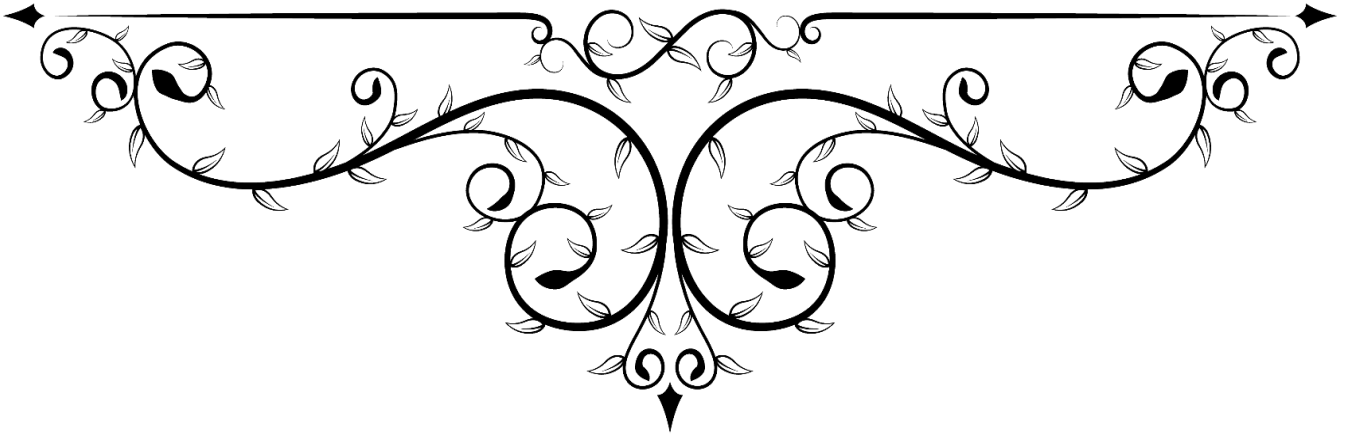
واجهتني بعض الصعوبات التي قد تواجه أي باحث من بينها الصعوبات الذاتية: صعوبة فهم فكر مالك بن نبي بشكل الكافي وذلك راجع لضيق الوقت لأن أفكاره تحتاج لوقت أطول وجهد أكبر لدراسة إنتاجه الفكري الضخم.

وعدم القدرة على جمع فكر مالك بن نبي المتشعب في بحث صغير فيه صفحات قليلة، ومصطلحاته الجديدة وفي نهاية البحث وضعنا خاتمة توضح مجموعة من نتائج البحث واجابات عن تساؤلات المطروحة في مقدمة.



الفصل الأول:

نبذة عن حياة مالك بن نبي



البحث الأول: مولده ونشأته.

البحث الثاني: تعليمه وهجرته (تعليمه).

البحث الثالث: إنتاجه الفكري.

المبحث الأول: مولده ونشأته.

هو مالك الحاج بن لخضر بن مصطفى بن نبي، ولد في 1 جانفي 1905، بقسنطينة كان هو الابن الوحيد في ذكور إضافة إلي ثلاث بنات توفيت إحداهن وهو لا يزال صغيرا تربى ونشأ في وسط عائلي فقير يتميز بتمسك الديني والمحافظة عليه كما عرف علي أغلب الأسر الجزائرية في ذلك الوقت كان أبوه يعمل في وظيفة بسيطة في القضاء، بينما أمه تساعد أسرتها بعملها في الخياطة.

انتقل مالك للعيش عند عمه الأكبر حتي وفاة عمه، نظرا لظروف البائسة التي تعيشها عائلته بعدها أعادته زوجة عمه إلي أهله بتبسة وقد ذكر ذلك في مذكراته حيث قال | >> فقد بقي والدي في تبسة دون مورد يعيش منه ودون عمل لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلي شديدة العسر مات عمه الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجته تعيدني إلي أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها ونفسي <<¹.

وكانت علاقة مالك الطفل بجده لأمه متميزة، ذلك لأنه كان يسمع منها أقاصيص والحكايات وعن معاناة الاستعمار وعواقبه والهجرة القصرية من الوطن وهجرت جده لأبيه مع بدايات الاستعمار إلى ليبيا، ولم يأخذ والد مالك وإنما ظل في الجزائر وانتقل مع أهل زوجته إلى تبسة كل هذه الأحداث أثرت علي كيانه وخياله وعلمته القيم الاسلامية ومبادئها فقد حرصت أمه على إرسال ابنها إلى الكُتاب حتي اضطرت ذات مرة إلى تقديم سريرها للفقير كمقابل لدفع أجرته أما عن عمه محمود كان من أصحاب الزاوية العيساوية هذه الزاوية، مما جعل تكوينه ديني منذ بداية حياته.²

¹ جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ط1، دار المعرفة للنشر وتوزيع، الجزائر، 2019\2018، ص32.

² مالك بن نبي، شاهد القرن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984، ص16-47، 19.

يقول مالك عن نشاطه الديني: كنت أتردد على المسجد، وأقوم بتأدية الصلاة منذ الصغر، وكنت في يوم الجمعة ألبس زيا خاصا، حيث تقص الأقايص والحكايات أو التي تبقي في المسجد بعد صلاة العشاء لتسمع درس الإمام، وقد كان وعيي يتكون تحت تأثير التيارين،¹ وفي المرحلة الابتدائية يذكر لنا مالك بن نبي بانه تحصل على أعلى الدرجات طوال السنة الأخيرة في مدرسته الابتدائية، إلا أنه لم يمنح الأولوية التي يستحقها على طلاب فصله، بل على لعكس منحت لزميله الفرنسي وكل هذا راجع لما يسمى بتميز العنصري.²

بعد انتهاء مرحلة الابتدائية لم يقبل مالك في كلية بسبب درجة جيد التي كانت عائقا، مع أنه كان يستحق أكثر من جيد وكما ذكرنا سابقا أن الدرجة التي هي أفضل منها أعطيت لطالب فرنسي لكن مالك حصل على منحة لمتابعة دراسته في التكميلية بقسنطينة في مدرسة "سيدي الجلبي" لكي يحضر الطالب خلال سنة أو سنتين للدخول إلى المدرسة أو إلى معهد المعلمين وهو تعليم يساعد الطالب ليكون مساعدا قضائيا او مساعدا طبيب ويتعلم الطالب اللغة الفرنسية والعربية والدين وهذه رغبة والده أن يتخرج مساعدا قضائيا، وفي عام 1921 التحق مالك بن نبي بمدرسة قسنطينة الثانوية التي تحولت فيما بعد إلى ما يسمى بمدرسة الفرنسية الاسلامية، التي تدرس باللغتين الفرنسية واللغة العربية، حيث لقي مالك انسجامه مع ميسو مارتن الذي كان يدرس الفرنسية وآدابها بطريقة غرست فيه حب الاطلاع والقراءة التي نمت مداركه ومعارفه ولذلك انكب بن نبي على الأدب فقرأ روايات متنوعة وبعض الكتب التي غذت اهتماماته الفكرية مثل: كتاب كيف تفكر لجون ديوي .

المبحث الثاني: تعليمه وهجرته (تعليمه).

- تعليمه

عرف مالك الطفل رغبته وميله لحب الاطلاع والقراءة ،حتى أنه كان يتلقى دروس إضافية عن دراسته في المدرسة في قواعد اللغة علي يد الشيخ (عبد المجيد) اضافة إلى استفادته من الدروس التي تلقي في الحلقات العلمية التي، تدار في المساجد ومتابعته لصحف ،فشعر بانتماء يتجه نحو الشيخ عبد الحميد بن باديس وفكره

¹مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن ، المصدر السابق،ص108،107،101،98.

² فوزية برون ،مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة،ط1، دار الفكر، دمشق،2010 ، ص 105،104.

الاصلاحي،¹ ومما كان يآثر على نفسيته و ألمه الوضع المتدني للبلاد بسبب السيطرة الاستعمارية، مما دفعه إلى كتابة النداءات والبيانات المناوئة للمستعمر المحتل.²

كان مالك بن نبي من ألمع الطلبة في دفعته، لم يهتم بمجال تخصصه العلمي فقط بل درس علم الاجتماع والفلسفة والتاريخ وميوله لثقافة العربية الاسلامية وقراءته متنوعة في ميادين شتى، ولقد تأثر بن نبي في تكوينه الفكري والعلمي بكتابات رواد التجديد والنهضة قبله مثل: كتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبي "ورسالة التوحيد" لشيخ محمد عبدة ورواد الاصلاح في الجزائر بصفة خاصة وفي بلاد المغرب العربي الاسلامي بصفة عامة، اضافة إلى قراءته للأدب العربي القديم والحديث والأدب الفرنسي والغربي عامة، كل هذا بدوره ساعد مالك بن نبي في اكتساب مكانة فكرية وأدبية ولغوية مكنته فيما بعد في التأليف والكتابة باللغتين العربية والفرنسية معا،³ كان مالك شغوفا للمناقشات الفكرية وتبادل الآراء، الذي مكّنه من التحليل ونقد، ويعتبر مقهي بن يمينة الذي أطلق عليه مالك مقهي الفكر ملتقي الأدباء والمفكرين وقبلة لمن يريد أن يشارك في المناقشات (أمامنا مناقشة مع حمودة بن الساعي التي كانت متنوعة في الأدب والسياسة)، وتعرف فيها علي بعض تلامذة الشيخ عبد حميد بن باديس، وشعر أنه وإياهم ينتمون إلى الخط الفكري ذاته، كما انخرط مالك بن نبي في ذات المرحلة إلى حلقات الشيخ "مولود بن موهوب" الذي درسه العلوم الدينية بالمدرسة الفرنسية الاسلامية قبل توليه الافتاء، وكان يدعو إلى الاصلاح الديني والاجتماعي، بعد انقضاء أربع سنوات من الدراسة بالثانوية تخرج مالك بن نبي سنة 1925، وكان يشعر بنوع من التقدم في السن عن بقية زملائه وذلك لظروفه الخاصة والعامة، وخاصة أنه من الجزائريين القلائل الذين تحدوا الصعوبات وشقوا طريقهم بأنفسهم، مع أبناء الفرنسيين رغم العقبات كتمييز وإبعاد السلطة على أبناء الجزائريين، لما كان بن نبي يبحث عن عمل يساعده على إعانة أسرته بدأ بالتنقل والبحث عن أي نشاط يمارسه، وبعد جهود مضنية قرر بصحبة صديقيه قاواو، والاتجاه لفرنسا بعد تنقله في مدن فرنسا لم ينجح في الحصول على عمل فعاد إلى مدينة تبسة واشتغل عوناً بمحكمتها 1927 ثم عين في السنة فسها كاتباً في محكمة أفلو بعد ذلك انتقل إلى محكمة شلغوم العيد للعمل بها . كانت السياسة الاستعمار الفرنسي تسعى لتعطيل أي نشاط وكل حركة يحاول فيها الجزائريون التحرر من قيود الاستعمار وهذا ما واجهه مالك من مضايقات جعلته يستقيل من

¹ مالك بن نبي، شاهد القرن، المصدر السابق، ص49،48،47،46،42.

² مالك بن نبي، شاهد القرن، المصدر نفسه، ص148،147،47.

³ جيلالي بوبكر، المرجع السابق، ص17.

وظيفته،¹ واستغيل في التجارة مع صهره، وأقاموا طاحونة ليعملوا بها إلا أنهم فشلوا في تحقيق أي نجاح بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية 1929 فقاموا ببيع المطحنة والتخلي عن المشروع.²

ب- هجرته (1930-1956).

بعد أن حصل مالك بن نبي على الشهادة الثانوية من المدرسة الفرنسية في الجزائر، وبعد أن مرا عدة تجارب عملية لغرض تأمين عيشه إلا أنه واجهته العديد من العثرات، وبتالي فكر في سفر للخارج وبضبط إلى فرنسا، وعندما طرح الموضوع على والديه لم يعارضوه على لعكس بل قاموا معا بتأمين احتياجاته المالية حرصا منهنما على بناء مستقبل أحسن لابنهم الوحيد في ذكور³، وعند وصوله لفرنسا كان أول ما قام به هو مشاركته في امتحان بمعهد اللغات الشرقية، إلا أن النتيجة سلبية فأدرك مالك بأن الامتحان لم يخضع لمقاييس فكرية بل مقاييس سياسية وبعد ذلك انخرط بمعهد الهندسة الكهربائية وكان هذا المعهد بمثابة بوابة أدخلته إلى الحضارة الفرنسية. انخرط في الجمعية المسيحية وأصبح مشهورا فيها كداعية اسلامي⁴، ويقول ذلك مالك في مذكراته "وقد أصبحت هكذا عضوا مسلما في الوحدة المسيحية وما كان لأمر كهذا أن يكون عاديا في سجلات المنظمة كانت هذه الوحدة تدار وتنظيم شؤونها طبقا لضرورات شباب يدرس أو يعمل بعيدا عن بيوت الأهل..."⁵.

وكان مالك بن نبي يمثل صورة القومية الجزائرية التي تنتسب للطرف الاصلاحى في صورته الوهابية التي بمثابة منقذ العالم الاسلامي، حيث أصبح فيما بعد عضوا فعال في جمعية الطلاب المغاربة في باريس وألقى محاضراته الأولى في حياته الفكرية من خلال هذه الجمعية بعنوان: لماذا نحن مسلمون...؟، مما أدى إلى استدعائه من طرف السلطات الفرنسية، وترتب عن ذلك نقل والده من تبسة إلى منطقة صحراوية ثم تم فصله نهائيا، في عام 1931 تزوج مالك بامرأة فرنسية أسلمت على يديه وتحول اسمها إلى خديجة وشعر بالاستقرار في هذا الزواج، والدور الذي لعبته زوجته في تهيأت الراحة النفسية ومساعدته على تحصيل العلمي وبعد تعرفه على المحيط الاجتماعي كون شبكة من العلاقات الاجتماعية ومن الشخصيات التي ألتقى بها وتأثر بها مثل: المهاتما غاندي الذي زار باريس وألقى فيها

¹ مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984، ص74.

² أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، ط2، دار النفائس، بيروت، ص15.

³ زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1998، ص42.

³ بن نبي، العفن 1932-1940، ط1، ج1، تر: نور الدين خندودي، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص30.

⁵ مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق 210.

محاضرة في جمعية ومن زملائه الذين عاشهم "حمودة بن الساعي" الذي قال عنه >> كان هو أستاذاً في¹ فلسفة الاسلام، وأن مدين له هنا بالتحية التي سبق لي أن وجهتها له... فقد علمني ومكنني من الولوج "لروح القرآن" بطريقة لم يكن لأستاذ أزهرى أن يقدر عليها... | <<²، كان له حضور متميز بين أوساط المغاربة من جزائريين وتونسيين ومغربيين في باريس وعملهم المشترك في تعاون على توزيع المنشورات الراضية للاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وقيامهم بأدوار توعوية وتحفيز العلمي¹ مالك لتنمية البلاد وتخلص من احتلال الاستعمار، اضافة إلى تأثيره ببعض الأفكار والتوجهات الاصلاحية كأفكار شكيب أرسلان الذي تبني هذه التوجهات ويدافع عنها، وقد شجع أرسلان على تكوين جمعية طلابية مغربية في باريس ، وتشكلت بالفعل هذه الجمعية وانتظم فيها الطلبة من الجزائر والمغرب وتونس وسورية ولبنان، وقد مثل فيها بن نبي الطلبة الجزائريين ولأنه كان ابن المستعمرات من بلاد العالم الثالث ، فقد كانت له علاقات مع صينيين وفيتناميين وغيرهم من الطلبة المقيمين في فرنسا .

تخرج مالك بن نبي مهندسا كهربائيا سنة 1935، وحاول السفر لعدة دول بحثا عن عمل حيث هاجر إلى مصر لعدة أسباب منها: إعجابه بشخصية جمال عبد الناصر وبالمبادرة السياسية المتقدمة والمتمثلة في مؤتمر باندونغ 1955 وهو سبيل لتحقيق التحرير والاستقلال للعالم الثالث من الهيمنة الإمبريالية³، وقد تأثر مالك بن نبي بفكرة هذا المؤتمر، واعتبره منهج الحل لمشاكل العالم الثالث⁴.

وأصبح بعدها مستشارا لأنور السادات الذي كان رئيس مجلس الشعب والأمين العام للمؤتمر الاسلامي، اضافة إلى اعتبار مصر أقرب نقطة لخدمة الثورة الجزائرية من منظور مالك بن نبي حيث قدم رسالة إلى قادة الثورة يقترح فيها عليهم أن يعمل ممرضاً عسكرياً في جبهة الحرب ليكتب التاريخ كشاهد عيان وككاتب جزائري في قلب المعركة لإظهار جرائم الاستعمار الفرنسي من خلال التدوين لكن استقلالية مالك وحرية الفكرية لم ترضي كل الناس، بل على لعكس في أغلب الأحيان جلبت له المتاعب من الاستعمار وسياسته من جهة ومن شخصيات الوطنية من جهة أخرى، إن سفره إلى فرنسا وزواجه بفرنسية وانضمامه للوحدة المسيحية واختلاطه بشباب المسيحي واليهودي، وأخذه من كل الأفكار سواء كانت غربية أو شرقية ، كل ذلك يساعده على كسب ثقة

¹ فوزية برون، المرجع السابق، ص15، 41، 11.

² مالك بن نبي، العفن 1932-1940، المصدر السابق، ص98.

³ زكي ميلاد، المرجع السابق، ص4643.

⁴ محمد البعيادي، مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الحراس، ط2، دار الشامية للنشر والتوزيع، 2012، ص21.

قادة الثورة وتطرقة لنقد بعض الشخصيات في الثورة لم يكن ذلك في صلاحه مما أدى إلى رفض طلب مالك بن نبي للانضمام في جبهة القتال، وأثناء تواجده مالك بمصر لمس نوع من تقدير واحترام عند المصريين على مجهوده الفكري ونتاجه، حيث تم نشر كتابه فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ في أصله الفرنسي 1956 وترجم عبد الصبور شاهين فيما بعد كتابا آخر وأصدر بن نبي عدة مؤلفات تتحدث عن القضايا الفكرية التي تخص العالم الاسلامي مما ساهم في إثراء الساحة العربية بالأفكار خاصة بعد ترجمته شروط النهضة والظاهرة القرآنية ووجهة العالم الاسلامي¹.

تعرف مالك في مصر على العالم العربي وما يحتويه من مفكرين ورجال الاصلاح وتلاميذ وأصدقاء القادمين إلى القاهرة لطلب العلم باعتبار أن مصر مركزا ثقافيا مهما في العالم العربي خاصة بوجود جامع الأزهر ، في عام 1959 قام بزيارة لسورية ولبنان ، وشارك في العديد من مؤتمرات التي عقدت في السعودية والكويت وليبية، وفي مصر تزوج من سيدة جزائرية وأنجب منها ثلاث بنات: نعمة، إيمان، ورحمة بعد أن أصرت العائلة على مالك أن يتزوج مرة ثانية من امرأة تنجب له، ولكنه استمر وفيا لزوجته خديجة الذي بقي يرسل إليها المساعدات المالية، أما عن ابنته رحمة هي التي اتصلت بالأستاذ عمر كامل مسقاوي وطلبت منه أن يحول حقوق نشر كتب والدها إليها فوافق على طلبها وسلمها حقوق الإيداع.

فيذكر من عايشه في القاهرة² عبد السلام الهراس "مالك بن نبي كان يعيش معنا بسيطا جدا البساطة التامة³...."، وفي عام 1963 عاد مالك بن نبي إلى أرض الوطن بعد الاستقلال وتخلصه من لهيمنة الاستعمارية الفرنسية التي دامت 130 عاما، بعدها عين مالك في عدة مناصب حكومية كمستشار عاما للتعليم العالي، ثم مديرا عاما لجامعة الجزائر وبعد ذلك مدير التعليم العالي، ثم في عام 1967 استقال من منصبه وأسس ندوة فكرية في بيئته التي تجمع فيها نخبة من الطلاب المثقفين بإضافة إلى (إصدار لكتاب أعمال المستشرقين)، وفي سبتمبر 1968 أفتتح مالك بن نبي أول مسجد بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة، لإحياء جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأصدر كذلك كتاب (الإسلام والديمقراطية)⁴. وفي عام 1972 أدي فريضة الحج وفي طريق عودته للوطن مر بدمشق وحاضر فيها في مسجد المرابط ، حيث كان موضوع محاضرتان (دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين) وكأما هاتان المحاضرتان وصيته الأخيرة لجيل المستقبل الذي سيعمل مشعل الأمة ،

¹ بوسوليف قويدر، ابرير الطاهر، مالك بن نبي رجل فكر واصلاح، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، ص14.

² محمد عبدة، مالك بن نبي مفكرا اجتماعيا ورائد اصلاحي، ط1، دار القلم، دمشق، ص 42.

³ محمد البنيادي، المرجع السابق، ص28.

⁴ العابد ميهوبي، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، قسم العلوم الاجتماعية، أطروحة دكتوراة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013\2014، ص64.

فيها نوعا ما لمدة عشرين يوما، ثم عاد به إلى بلاده وبعدها بثمانية أيام توفي في منزله، -رحمة الله عليه- في يوم الأربعاء 31 أكتوبر 1973، الساعة الحادية عشر وخمس عشرة دقيقة مساء (15:23).¹

المبحث الثالث: انتاجه الفكري.

لقد سبق وأن ذكرنا بأن الأستاذ مالك بن نبي كان له أصدقاء وتلاميذ، ولعل من أبرز تلاميذه نذكر عمر كامل مسقاوي وهو من تلاميذه الأوائل الذي حظي بمعرفته وهو في سن العشرين من العمر وتلقي منه فكره بتفاصيله وشروحاته بصوته الحي، ثم امتدت إلى خمسة وخمسين عاما في ورشة فكره أهلتته لإدراك حياة مالك بن نبي وعلاقتها بأفكاره وتفحصه لمنهج فكره ومساره، ومن هنا يمكن أن نقول بأن عمر كامل مسقاوي كان لديه رابط يجمع حياته الفكرية بفكر بن نبي وحياته، ويعتبر كذلك من الأوائل الذين ترجموا مؤلفاته مالك إلى اللغة العربية، وقد كلف نفسه بكل إخلاص ووفاء لنشر مجموعة كتبه.

يقول عمر كامل مسقاوي في كتابه > وإني أقدم شهادتي في صحبتي لمالك وفكره مدعمة بالوثائق والأوراق التي ما زلت محتفظا به، والتي كتبها في حياته، وكان هذا الحصاد هو الأوفى بعهده الصحبة، لذلك شرعت في تقديم هذا العرض، بدءا بمذكراته، وصولا إلى ما أصدره من كتب، وسجل في أوراقه... وكتب بخط يده بالفرنسية مشروع إنشاء مجلة تحت عنوان "البناء الجديد".

بعد وفاة بن نبي في 1973 بدأ عمر كامل مسقاوي بتنفيذ وصيته التي قام بنشرها بخطه الشخصي -

لمالك بن نبي - حيث واجه مشكلة النشر في بداية، وفكر بإنشاء مؤسسة لنشر فكر بن نبي ومتابعته تحت عنوان (ندوة مالك بن نبي)، لكن جميع محاولات باءت بالفشل بعدها تم تعاون مع دار الفكر بدمشق كما تقضي الوصية، وكان ذلك فرصة أتاحت لقارئ بن نبي الذي يطالب بتعريف بالمؤلف، وقد اجتهد عمر مسقاوي في أن يضع لكل إصدار مقدمة تمسك بمفاصل الدراسة وظروف إصدارها، ووفر لهذه الكتب مرجعية قانونية حماية لسلامة الأسس والمبادئ التي بني عليها مشروع مالك بن نبي في البناء الجديد². لقد ألف مالك بن نبي أغلب ومعظم كتبه باللغة الفرنسية، وبعضها باللغة العربية ثم ترجم الكتب التي كتبها بالفرنسية إلى العربية، وله ما يزيد عن عشرين كتابا مطبوعا، وقد طبع كثيرا منها في الجزائر ودمشق والقاهرة، ونذكر بعضها:³

¹ عبد الله بن حمد العوسي، مالك بن نبي حياته وفكره، ط1، دار الفكر، دمشق، 2010، ص139.

² عمر كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء والتجديد، ط1، دار الفكر، دمشق، 2013، ص28.

³ حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي موقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005، ص35.

1- الظاهرة القرآنية: نشر بدار الفكر القرآن الكريم، وفيه كان مالك بن نبي يدرس النبوة وأصول الإسلام وظاهرة الوحي والقضايا المتعلقة بالقرآن الكريم، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين كانت تحت رعاية الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية بالكويت عام 1978 عدد صفحاته 363 ، يتكون الكتاب من ستة فصول يتناول فيه أهمية الظاهرة الدينية وفرق بين المذاهب المادي والمذهب الغيبي، وهو كتاب يحاول أن يكون إضافة جديدة في سلسلة الكتب التي ردت على أطروحات المستشرق البريطاني " مرجليوت " وتلميذه طه حسين، فيما يتعلق بالمعجزة البيانية للقرآن الكريم والشعر الجاهلي ، ووضح الخصائص العامة للقرآن الكريم من الناحية التاريخية والبيانية والعلمية والغيبية التي تتجاوز طاقة البشر ، وقارن القرآن بالكتاب المقدس ، وحدد أوجه الاختلاف.¹

1. شروط النهضة: نشر بدار الفكر عام 1960، وقام بترجمته عبد الصبور شاهين وهو متوسط الحجم وعدد صفحاته 159 صفحة حيث بين فيه أهمية الحضارة وشروط تركيبها، ينقسم الكتاب إلى بابين: الحاضر والمستقبل ، تكلم في الباب الأول عن: دور الأبطال ،دورة الفكرة السياسية ،الدورة الوثنية...وفي دور الأبطال يعتقد مالك أن كفاح المسلمين الجهادي في الفترة الأخيرة كان كفاحا بطوليا ،فهم يقاتلون في سبيل الخلود وليس البقاء، والحقيقة أن كفاح الأمير بن عبد الكريم الخطابي في المغرب يجسد هذا النوع البطولي ونفس شيء بالنسبة للأمير عبد القادر في الجزائر، كما أن مقاومة الخطابي لم تتوقف في محاربة المحتل الإسباني فقط، بل أسس دولة واهتم بتربية الشعب وتوصيله لركب الحضارة وكان لديه منهجا خاصا للإصلاح ،وكان له أسلوب تفاوض سياسي عالي مع إسبان.

ويبقى أن ما يهدف إليه بن نبي، لا ينحصر في كيفية التحرر من الغزاة فقط، بل لابد من الإشارة إل الأسباب التي أدت إلى الاستعمار هذه الشعوب ، وما هو العائق الذي يواجه هذه المجتمعات؟ وماهي الأمراض النفسية التي تجعل جزاء من المجتمع يتقبل بفكرة المستعمر ، بل ويتعاون معه؟ والمطلوب هو التعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها ،ولذلك رحب مالك بن نبي بحركة الإصلاح التي جسدها جمعية العلماء المسلمين التي كانت أقرب لنفوس الشعب ،ويرى المؤلف أن حركة جمال لدين الأفغاني هي المؤثر الغير مباشر في هذه الحركات.²

¹ مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 1987، ص4-21، 7-26، 51، 69، 72، 79.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص29-36.

ولكن الخطأ التي وقعت فيه جمعية العلماء برأي بن نبي عندما اتبعت طريق السياسية المتواجدة في باريس، حيث وضع الشعب الجزائري آماله في الوعود السياسية التي كان يستغلها الانتهازيون لخدعة الشعب وراح الشعب يطالب بالحقوق بدل القيام بالواجبات ، وتحول الشعب إلى قطيع انتخايي يصفق لكل خطيب يستمع إليه، وهذا كان وسيلة لاختلاس العقول وابعادها عن مطامعها الأساسية ، والنهضة لا تقوم بالخطابات السياسية الرنانة، وإنما بالتحول النفسي الذي يصبح فيه الفرد قادرا و متمكنا من القيام بوظيفته الاجتماعي وحينئذ يتخلص من القابلية للاستعمار وتبعاته والملفت للنظر أن جمعية العلماء التي دخلت علم السياسية للمطالبة بالحقوق ، انتقدتها مالك بن نبي وكذلك انتقدتها رئيسها الشيخ الابراهيمي الذي قال أن فرنسا وضعت هذه الانتخابات كفتنة كبرى بين زعماء وأتباعهم معا وشبهها بالأصنام ، فقد نفضت الدول الغربية لهذه النقطة فأصبحوا ينصبون لشعب المستعمر التماثيل من الرجال السياسية .

بعدها انتقل المؤلف إلى الباب الثاني(المستقبل) وتحدث فيه -من التكديس إلى البناء- عن حالة العالم الاسلامي (ما بعد الموحدين) حيث بقي خارج دائرة التاريخ مستسلم لأمرضه ، ثم جاء العصر الحديث وبدأ ما يسمى ب "النهضة" التي ينظر لها من زاويتين : من ناحية الجهود المبذولة ، ومن ناحية الأخرى النتيجة الضعيفة التي عاجله الاستعمار والجهل والفقر ، وليس فيها تحليل منهجي لهذا المرض بمعنى أن المرض في حد ذاته لم يعالج بل عولجت أعراضه.

أرد العالم الاسلامي يبدأ دورة جديدة لبناء الحضارة ، ولكن المشكلة أن الحضارة لا توجد من تكديس منتجات الآخرين ، بل على لعكس الحضارة هي التي تولد منتجاتها والعالم الاسلامي يعمل منذ نصف قرن على جمع أكوام من منتجات الحضارة الغربية، ولكن لبناء حضارة يجب أن يجتاز هذه المرحلة، ويسعى إلى (تركيب) حضارة بتطبيق المعادلة التي يؤكد عليها بن نبي في كل كتبه : ناتج الحضارة=إنسان +تراب+ وقت ، وهذه العناصر التي تبني الحضارة لا تعطي انتاجا تلقائيا بل لا بد لها من مركب يؤثر في مزجها وهو "الفكرة الدينية" ، فيجب أن نعلم أين توقفت الحضارة الاسلامية، حتي نعلم من أين نبدأ؟، ويذكر لنا المؤلف أن الدورة الحضارة الاسلامية انتهت بعد¹ عصر الموحدين حيث عاش المسلمون العودة فالمبدأ التكويني موجود في القرآن >> إن الله لا يغير ما يقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم << (الرعد:11)، وكيف صاغ الاسلام الفرد حتي أصبح إنسانا مؤهلا لتركيب حضارة؟

¹ مالك بن نبي ، شروط النهضة، المصدر السابق ،ص30-43.

يجيب مالك بن نبي: بأن الاسلام هو الوسيلة التي ضببطت غرائز الإنسان وروضتها وكسر من حدت الحيوانية وعندئذ تتقوى الروح وعندما ترجع الغرائز وتتغلب على العقل والروح، عندئذ يبدأ التدهور والانحطاط، فالعالم الاسلامي يحتاج إلى (رجال) يصلح للبدا بالحضارة ولكن من الرجال الذي يصلحوا للبدء؟ هناك صنفان في المجتمع الجزائري مثلا (والكثير من أقطار العالم الاسلامي):

أولاً- الصنف الأول: الذي سكن المدينة ويعمل في المهن أو دوائر الرسمية والمشكلة في هذا الصنف التي تجدرت فيه دواعي الانحطاط عاش حياته دائما في منتصف الطريق، ومنتصف فكرة ومنتصف التطور ليس هو نقطة انطلاق كرجل الفطرة ولا نقطة انتهاء كرجل حضارة فهو "رجل النصف" الذي دخل في ميدان فكرة الاصلاح فمسخها "نصف فكرة" وسمها اسم السياسة، وهو يحاول وضع القضية الجزائرية في نصف حل (بين مجلس أهل البلاد، ومجلس المستعمرين).

ثانيا- أما عن الصنف الثاني: وهو ساكن البادية، الذي هو مترحل بلا مواش، وفلاح بلا محراث ولا أرض، وقد يرضي من الأشياء بالعدم، ولكنه عدم خير من القليل، و بعد هذ التفسير الذي قدمه المؤلف بين الصنفين لم يبين لنا كيف يعالج كلاهما، ولكنه تحدث عن فكرة التوجه التي لا يمكن التخلي عنها، توجيهه من ناحية الفكر ومن ناحية العمل ورأس المال، والعالم الإسلامي له العقول المفكرة الصالحة لأن تستخدم في كل وقت¹.

أ- التوجه الثقافي: الثقافة هي نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وهي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم التي يتلقاها الفرد منذ ولادته، هي المحيط الذي يتشكل فيه الفرد في طباعه وشخصيته، في بادئ الأمر لا بد من تصفية الثقافة من العوامل السلبية وتثبيت العوامل الايجابية، كما فعلت الحضارة الاسلامية حين نفى القرآن الأفكار الجاهلية، ثم رسم الطريق للفكرة الإسلامية الصافية ومن التصفية أن نعلم مشاكلنا الثقافية، ومنها أ، كثيرا من المتعلمين اتخذوا من العلم وسيلة ومظهرا شكليا، ليكون شخصية بارزة مشهورة أو ليجلب رزقا، وقبل خمسين عاما كنا نعرف مرضا واحدا وهو الأمية والجهل، ولكن اليوم نعاني مرضا جديدا وهو (التعلم) ومن التوجه الثقافي نجد:

ب- التوجه الأخلاقي: الذي يركز عليه بن نبي في كتبه باعتبار الأخلاق كرافع من روافع بناء الحضارة، ويتحدث عن الأخلاق المطبقة فعليا، وعن العلاقات المتينة بين أفراد المجتمع، فالمؤاخاة بين المهاجرين الأنصار كانت ركيزة أساسية في بناء المجتمع الاسلامي، وبفقدان السياسية للأخلاق تتحول إلى دجل (بولتيك) بتعبير المؤلف².

¹ محمد عبدة، المرجع نفسه، ص120، 119.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر نفسه، ص73، 78، 88.

- ت- التوجيه الجمالي: أي أن يكون عند المسلم حاسة النفور من الأشياء القبيحة ينفر من عدم النظافة، وكل ما هو بشع على نفس البشرية .
- ث- التوجه العملي: فعندما بني المسلمون مسجدهم الأول في المدينة كان هذا أول عمل، فتوجه العمل هو سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، فجهد الطالب والعالم والمثقف يجب أن يوضع في بناء واحد، فتعليم الأطفال عمل، وغرس شجرة عمل.

-توجه رأس المال: الذي يختلف عن الثروة التي هي مكاسب شخص غير داخل في الدورة الاقتصادية ، وليس قوة مالية تدخل في بناء الصناعات مثلا: الثروة تلقب باسم صاحبها أما رأس المال ينفصل عن اسم صاحبه ليصبح قوة مالية مجردة ، فالقضية ليست تكديس الثروة ، بل تحريك رأس مال.

عنصر التراب لا يقصد المؤلف من حيث خصائصه وطبيعته وإنما التراب كقيمة اجتماعية ،بمعني أن الأمة المتحضرة تستفيد من أراضيها وخيرات أرضها ، فإن التراب يكون غالي القيمة، وعندما تكون متخلفة يكون التراب علي قدرها، ومثل ما يحدث في الجزائر بسب زحف وغزو الصحراء ،وهذه أدت بالبدوي فرا إلى المدن الساحلية التي ترفض أو تبتلع أما بالنسبة للأطراف المعادلة :الزمن وهو الساعات التي يمكن أن تكون ثروة عند الأمة ،أو عدما عند أمة أخرى، أنه العملة الوحيدة التي لا تسترد ولا تبطل إذا ضاعت، أما شعوب المتخلفة لا تدرك معني الساعة ودقيقة والثانية ،وهناك تجربة قريبة منا تجربة ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية بعد عشرة سنوات أصبحت ألمانيا قوية كان أفراد الشعب يقومون بالعمل التطوعي لمدة ساعتين اضافية¹

ثم أشار المؤلف إلى مصطلح القابلية للاستعمار الذي يتحدث عنه بأنه تحطم نفسية المستعمر وأنقاص من قيمته بطرق فنية ماهرة فالاستعمار من الوجهة التاريخية يعتبر نكسة في تاريخ الانسانية .

وقد ركز مالك بن نبي كثيرا عن قابلية الاستعمار وحللها تحليلا دقيقا فالجزائر قبل الاحتلال الفرنسي -ورغم ضعف وفساد إرادتها -كانت قوية وكانت الصناعات في الشام ومصر تكفي أهلها ، ولكن الاستعمار الأوربي بأساليبيه وقوته حطم كل هذه البدايات، وحاولت فرنسا فصل الأمة عن لغتها وتاريخها ودينها وشجعت المقاهي والحانات وبيوت الدعارة ، وحاولت فصل البربر عن بقية المجتمع.²

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986؛ 112، 109، 99، 91، 88، 74، 73.

² محمد عبده، مالك بن نبي مفكرا اجتماعيا ورائد اصلاحي، ط1، دار القلم، دمشق، ص124، 123.

فلاشك أن قابلية للاستعمار موجودة، فالأنانية وحب رئاسة ولو حساب المبادئ، والضعف الأخلاقي وعدم وعي الشعوب لما يجلب المنفعة ويبعد عنها المفسدة، وبصفة عامة التخلف الحضاري الذي يجب أن يكون محل دراسة عميقة.¹

إن الدار التي طبعت فيها شروط النهضة أو المطبعة، اسمها دار الجهاد للسيد علي الحرير، رحمه الله - وقد قام بإصلاح التجربة الأولى للطبع، يقول عمر كامل مسقاوي في هذا الصدد بأنه هو ودار العروبة باعوا حوالي 800 نسخة، واشترت الأوقاف 2000 نسخة، واشترت وزارة التعليم بفضل السيد محمد سعيد العريان 4200 نسخة، أما الطبعة الثانية فقد طبعنا منها خمسة آلاف نسخة.²

3- ميلاد مجتمع: وهو كتاب صدر مترجماً في الأصل من الفرنسية إلى العربية، عدد صفحاته 127 صفحة، طبعة الأولى بالقاهرة دون تاريخ أما طبعة 3 كانت في عام 1986 نشرت دار الفكر بدمشق، ويمثل النظرة التحليلية لمكونات المجتمع وتأمل في كيفية نشأته وميلاده، وكذا وظيفته التاريخ.³

4 - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: نشر بدار الفكر بدمشق، ترجمة دكتور بسام بركة وأحمد شعبو، الطبعة الأولى عام 1988 عدد صفحاته، 184 صفحة، عدد نسخه 1500 نسخة.⁴

يقوم مضمون هذا الكتاب على فكرة محورية مفادها أن مشكلة العالم الإسلامي مشكلة الأفكار، وهو منذ انحطاطه ما بعد عصر الموحدين يواجه مشكلة الأفكار ومشكلة وسائل فترائه الذي ورثه من أصول الحضارة الإسلامية غدا أفكار ميتة، لهذا يجتمع في هذا الكتاب زبدة التجربة التي خاضها بن نبي عبر كتاباته، وقد تمحورت حول مشكلات الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي.⁵

5- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث: نشر بالقاهرة عام 1970، وهو يتكون من 62 صفحة فصدر باللغة الفرنسية، وتحدث فيه عن جهود الغرب في تكوين الفكر والثقافة في المجتمعات المتخلفة حضارياً، لاسيما مجتمعات العالم الإسلامي.⁶

¹ محمد عبدة، المرجع السابق، ص 124.

² عمر كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء والتجديد، المرجع السابق، ص 56.

³ مالك بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، ط 3، ج 1، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1986، ص 15، 14، 13، 512، 4.

⁴ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، وأحمد شعبو، ط 1، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 3.

⁵ موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، د.ط، المطبعة الجهوية، الجزائر، 2008، ص 62.

⁶ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط 1، دار الارشاد، بيروت، 1969، ص 47، 8، 4، 3.

6- آفاق جزائرية: 1964 يتضمن هذا الكتاب ثلاث محاضرات محاضرة الجزائر العاصمة، مشكلة الثقافة، مشكلة المفهومية، ومجمل المحاضرات تدور في جوهرها على الكشف للجيل الصاعد عن السبيل الذي يصنع الجزائر في زاوية عليا للتاريخ ، في أفق عالمي يتمازج مع التطور الشامل للعالم.¹

7- مذكرات شاهد القرن: الكتاب عدد صفحاته 156 صفحة ، يجمع بين مرحلتين من حياة المفكر، القسم الأول (الطفل: 1905-1930) ، والقسم الثاني (الطالب: 1930-1939)،²

نقل فيه المؤلف حياته بتفصيل وأفكاره ورؤيته لمسيرة العالم كتبه مالك بن نبي هذا الكتاب بعدما استراح من توتر المساة ما تراكم ، من تجربة الخمسينات والستينات القاهرية والجزائرية على سواء في ظل الاستعمار والثورة والاستقلال كذلك.³

8- واجهة العالم الاسلامي : نشر في دار الفكر الطبعة الأولى عام 1986، ترجمه عبد الصبور شاهين ، وعدد نسخه 1500، وعدد صفحاته 200 صفحة،⁴ يقوم مالك بن نبي بتحليل الأفكار هذا الكتاب ومراحل التاريخ وكيفية سير لمدينة وتطوراتها ، وهو يقسم التاريخ المجتمع الاسلامي إلى ثلاث مراحل: أولها مرحلة الاسلام وهي أقوى المراحل في نشاطها وقوتها وفي دفعتها الايمانية ، وتنتهي في معركة صفين ، أما المرحلة الثانية هي مرحلة المدينة الاسلامية ، وهي مرحلة التطور الحضاري ، وتنتهي بسقوط دولة الموحدين أما المرحلة الثالثة هي مرحلة الركود والانحطاط، ويشرح كل مرحلة من هذه المراحل وصفا تحليل ، كما أنه ركز على المرحلة الأخيرة لأنها مرحلة التي نزال نعيش فيها وفي روايتها وآثارها وتمثل في نظره مرحلة القابلية للاستعمار ثم عرض لنا العالم الغربي ونشأة حضارته.⁵

خصص المؤلف الفصل الأول للحديث عن المجتمع ما بعد الموحدين حيث يرى أن المجتمعات الاسلامية فقدت بريقها الحضاري بعد القرن 7 الهجري لذلك عاشت حالة ما بعد الحضارة، حالة مجتمع متفكك لا يؤدي إلى نهضة، وعندما قد شعاع الروح ويحمد من ثم إشعاع العقل، إذا يفقد تعطشه إلى الفهم، يفقد قوة

¹ موسى لحرش، المرجع السابق، ص58،55.

² مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المصدر نفسه، ص3،4،5.

³ عمر كامل مسقاوي ، في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء والتجديد، المرجع نفسه ، ص66.

⁴ مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002، ص4 .

⁵ موسى لحرش، المرجع نفسه، ص61.

الإيمان، إن أزمة العالم الاسلامي تتشابه في العالم الثالث، إنها أزمة بدأت سياسية وانتهت بتغيير الإنسان ذاته حيث فقد همته المحضرة.

لقد اصطدم مجتمع ما بعد الموحدين بالحضارة الغربية التي تمثل فكرة العمل اليومي والروح التعاونية، وجاءت الحروب الصليبية التي أعطتها حصادا طيبيا من الحضارة الاسلامية.

النهضة: يوضح فيه بن نبي عن بروز تيارين تجاذبا في حقبة ما بعد الموحدين ، التيار الاسلامي والتيار التغريبي وأما التيار الاسلامي فقد صدر عن جبهتين: تيار الاصلاح الذي ارتبط بالتميز المسلم .

- تيار التجديد: يمثل مطامح فئة اجتماعية تخرجت من المدرسة الغربية ، ومن أمثلة حركة أحمد خان في الهند.

- التيار الاصلاحى: بدأ هذا التيار منذ عهد ابن تيمية الذي سيكون من تأثيره حركة الاصلاح في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحى في العالم الاسلامي الذي كان ضد الجمود ويحارب البدع والخرافات ورغم مدح المؤلف للأفغانى إلا أنه لا يراه مصلحا بمعنى الكلمة، وما يشوب حركة الاصلاح هذه هو انحرافها عن مبادئ السلفية.

أما بالنسبة لتيار التغريبي: فهو ناتج عن النخبة المثقفة في المدرسة الغربية، وطالب الذي يذهب إليها لم

يذهب لاكتشاف أوروبا بل ليحصل على لقب جامعي واقتناعه بمنتجات الحضارة الأوربية ، ومن سلبيات هذا التيار هو أن تجعل المسلم زبون مقلدا للحضارة الغربية، و من بين معوقات وعقبات المسلم التي يواجهها هي عدم استخدام ما يتوفر له من وسائل لتحسن مستواه ، وذلك لبعده عن عمل اجتماعي اضافة إلى عجز الربط بين الفكرة ونتيجتها المادية ، فإما فكرة لا تتحقق وإما عمل لا يتصل بالفكرة ، أو تعذر الفرد بحجة الفقر كعائق أمامهم.

إن الخطأ الذي وقع فيها أصحاب الحركة الاصلاحية و التغريبيون هو أن كلاهما، كان بعيدا كل البعد عن أصول الفكر الاسلامي .

ويمكن القول أن الاستعمار هو أفظع نكسة أصابه التاريخ، لم يحدث في عصر من العصور أن ارتد

الانسان عن إنسانيته إلى أقصى مدى وتجدد ذلك في مصانع الاستعمار ومؤسسته، وأمام هذا الوضع المتأزم

لمشاكل العالم الاسلامي ومخلفات الاستعمار يرى بن نبي بأن الاسلام هو الحل الوحيد القادر على تغيير ولذلك يفوض الاستعمار قيود على الاسلام بكل الطرق بغلق المساجد ومنع فتح مكنتا لتحفيظ القرآن.¹

9- النجدة للجزائر : القاهرة 1957 صدر باللغة الفرنسية ، مؤلفاته نداء للضمير الإنساني (العالمي) بهدف اتخاذ موقف إنساني حضاري جازم بشأن عمليات الإبادة التي كان يتعرض لها المجتمع الإنساني من طرف الاستعمار الفرنسي²

10- الفكرة الافريقية الآسيوية (القاهرة 1956):

ترجمه عبد صبور شاهين ونشرته دار الفكر بدمشق، كانت طبعته الأولى في 1981 وطبعة ثالثة في 2001 عدد صفحاته 272 صفحة³، اصدر بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ حيث وضع مؤلفه الأسس النظرية والمناهج التطبيقية لبروز كتلة جديدة على الصعيد العالمي والتاريخ البشري ويحتل فيها العالم الاسلامي مكانة هامة، إلا أن الفكرة لم تتجسد على أرض الواقع لغياب الإدارة عن بعض الأعضاء لتحقيق ذلك.

11- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (القاهرة 1960):

وهو كتاب صدر أصلا باللغة العربية ، حاول فيه مؤلفه الكشف عن حقيقة الصراع ولغته، تلك اللغة التي ليس لها معنى واضح إلا بالنسبة لمن عاش بدوره تجربة شخصية.⁴

12- تأملات في المجتمع العربي القاهرة 1961:

يتضمن خمس محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى اللغة العربية وتعالج هذه المحاضرات في مواضيعها مضمون مشترك يدخل في نظافة المجتمع العربي والعالم الاسلامي والعالم المتخلف بصفة عامة ، وتدرس عوائق والصعوبات التي تواجه العالم المتخلف وكيفية تجاوزها.⁵

¹ محمد عبدة، المرجع نفسه، ص130،127،31.

² موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي، المطبعة الجهوية، الجزائر، 2006، ص52.

³ مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط3، دار الفكر، دمشق، 2001، ص4.

⁴ مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، د.ط، دار الفكر، دمشق، ، 1981، ص11،10،7،6،5،4،3.

⁵ مالك بن نبي، تأملات، ط1، دار الفكر، دمشق، 1979، ص9،8،3،4.

13- المسلم في عالم الاقتصاد:.. نشرته دار الفكر بدمشق عام 1987 في طبعته الثالثة وعدد صفحاته 112،

المختصون في الاقتصاد يوجهون اللوم إلى الفقهاء، ويلمونهم بالجمود، ويجب أن ننزه فقهاءنا عن العقاب..¹

14- فكرة كمنويلث إسلامي : نشرته دار الفكر بدمشق، عدد صفحاته 96، كانت الطبعة الثانية عام

2000 وطبعة الاولى 1960.²

كان المؤلف متحمسا لفكرة (الأفرو-آسيوية) ولمؤتمر باندونغ عام 1955 وكتب أيضا عندما لاحظ

مظاهر الضعف المؤسفة في العالم العربي في بداية الخمسينيات وكان العالم الجزائري الشيخ البشير الابراهيمي قد

سبق مالكا عندما دعا إلى تكتل إسلامي إفريقي آسيوي على أساس ديني بالدرجة الأولى ، حينما دعا ملك بن

نبي إلى تكتل إفريقي آسيوي دعامته المصالح السياسية ولاقتصادية، ومن الواضح أن مالك بات مقتنعا بفكرة التر

ابط والتعاون بين الشعوب الاسلامية، وهذا التضامن يمكن أن يتخذ أي شكل من أشكال التوحيد ، ويهاجم

مالك الفئة الواقعية الذين يسخرون من أي فكرة توحد ويعتبرون هذه الفكرة مجرد مثالية لا يمكن تحقيقها.

إن الكومنولث الاسلامي يتمثل في اتخاذ الاسلام مبدءاً أساسيا لتحقيق حضارة واحدة تجمع بين دول، وليس من

الضروري أن يكون لها نظاما سياسيا واحد أو اقتصاد واحد لكن لتطبيق هذا المشروع لابد من تواجد مراكز

بحوث لم توجد بعد في العالم الاسلامي.³

15- بين الرشاد والتهيه: دار الفكر عام 1978 وعدد صفحاته 174 صفحة ضم مقالات كتبها مالك بن نبي،

ونشرها معظمها في جريدة الثورة، الافريقية إثر دعوته إلى الجزائر بعد الاستقلال في الستينات.⁴

16- في مهب المعركة : نشر دار الفكر القاهرة عام 1961 وهي عبارة عن مجموعة مقالات كتبها مالك بن

باريس يترجمها وينشرها بالعربية وسميت هذه المقالات بهذا الاسم باعتبارها ارهاصات للثورة الجزائرية ، وتسويغا

لدوافعها.⁵

¹مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، ط3، دار الفكر، دمشق، 1987، ص،4،10،3،9.

² مالك بن نبي، فكرة كمنويلث اسلامي، تر: الطيب الشريف، ط2، دار الفكر، دمشق، ص،4.

³ محمد عبدة، مالك بن نبي مفكرا اجتماعيا ورائد اصلاحي، ط1، دار القلم، دمشق، ص،142،141.

⁴ مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002، ص،8،5،4،3..

⁵مالك بن نبي، في مهب المعركة، ط3، دار الفكر، دمشق، 1981، ص،9،8،7،5،3.

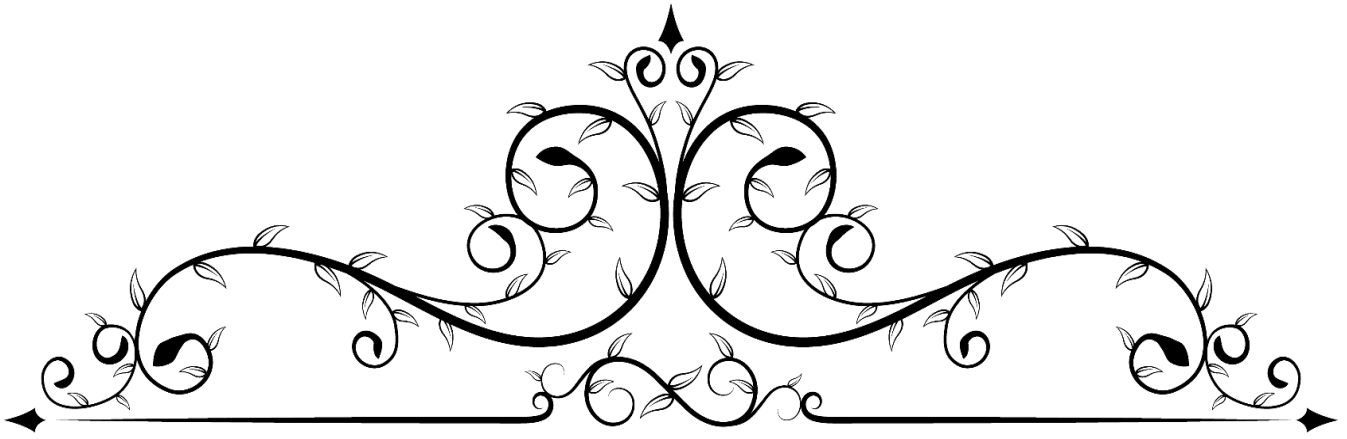
17- لبيك: هي قصة الوحيدة لمالك بن نبي عدد صفحاته 156، وهو عبارة عن رواية ترسم عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية¹

بعد تقديم لمحة عامة عن بعض مؤلفات ونتاج مالك بن نبي نذكر بعض أقوال العلماء والمفكرين حول شخصية مالك بن نبي:

ويقول فيه مصطفى السباعي >> مالك بن نبي جزائري الأصل، مجاهد في سبيل القضية الجزائرية بقلمه ولسانه... يتميز الأستاذ مالك بن نبي في جميع مؤلفاته بعمق التفكير و منطقته، و واقعيته...وبدأ يرى في الأستاذ مالك بن نبي رائده الفكري بعيد النظر وقوي الإيمان المناضل بقلمه، في سبيل الله والاسلام<<1
لقد ساهم في بناء شخصية مالك بن نبي وتكوينها عدة متغيرات ومنعطفات تاريخية انعكست على تراثه الفكري الذي أنتجه في حياته ومن بين أهم هذه المنعطفات أنه عايش المجتمع المتحضر والمدينة في فرنسا البلاد المستعمر وعايش المجتمع العربي الاسلامي متحرر من الاستعمار (مصر) وعايش الجزائر في فترة الاستعمار والاستقلال.²

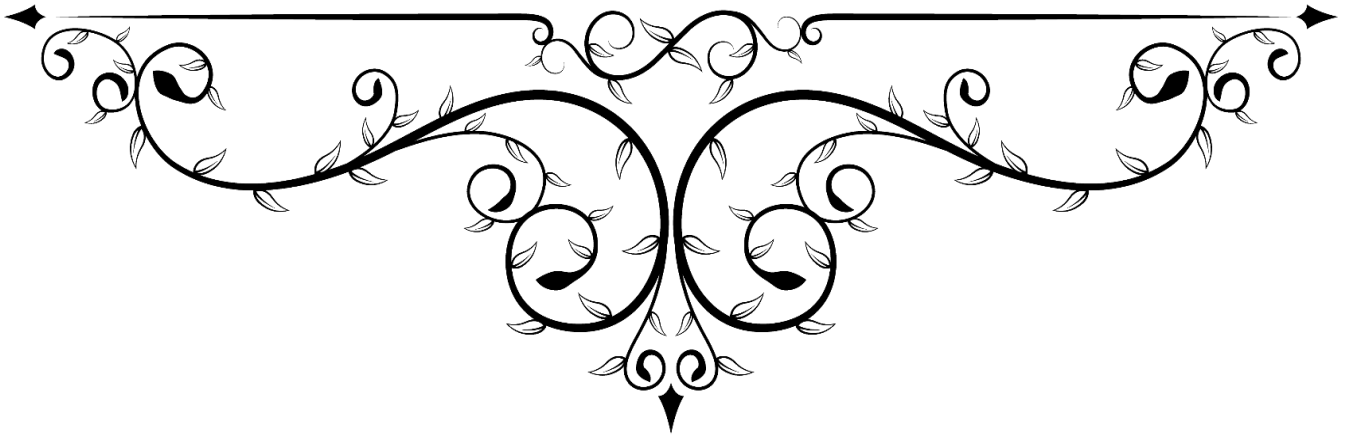
¹ مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، تر: زيدان خويلف، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009، ص3.

² زكي ميلاد، المرجع نفسه، ص52.



الفصل الثاني:

الظاهرة الاستعماري



المبحث الاول : معامل الاستعماري.

المبحث الثاني: القابلية الاستعمار.

المبحث الثالث: سيكولوجية الاستعمار.

المبحث الأول: معامِل الاستعمارية.

1-تعريف الاستعمار:

لغة: اشتقت من العمران،¹ومن ذلك قول ابن منظور وأعمره المكان واستعمره فيه جعله يعمره² وفي القرآن الكريم قال تعالى " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"³ أي أذن لكم في عمارتها .

اصطلاحاً : الاستعمار عدة تعاريف أهمها دولة تفرض حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على شعب دولة أجنبية وعلى غير رضا أهلها وتستهدف السيطرة الاقتصادية واستغلال الدولة وسكانها⁴.

2-أنواع الاستعمار

- الاستيطاني: هي قيام دولة باحتلال دولة أخرى عسكرياً وتعمل على سكانها وتهجيرهم ومن ثم توطن أفراد منها، والاستيلاء على أراضيها من قبل المستوطنين بقوة دولتهم الاستعمارية.⁵
- العسكري: قيام دولة بفرض حكمها وسيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على شعب دولة أجنبية على غير رضا أهلها بل تكون الوسيلة هي الاغتصاب والقوة العسكرية والعنف.⁶
- الفكري والسياسي واقتصادي: هو أن تقوم دولة قوية بإحكام السيطرة على دولة ضعيفة تكون ظاهرياً مستقلة وتتمتع بسيادة، لكن تابعة اقتصادياً وحتى سياسياً وتكون القرارات المصرية بيد الدولة القوية وتستغلها من خلال عقد اتفاقيات لصالحها.⁷

3-معامِل الاستعماري.

يقصد بن نبي بمصطلح المعامل أي ما يفرضه الاستعمار على حياة الفرد من عامل سلبي، فهو عامل خارجي يفرضه على الكائن المغلوب على أمره الذي يسميه المستعمر الأصلي نموذجاً محددًا من الحياة والفكر

¹ أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط4، دار النهضة العربية، 1980، ص74.

² ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج4، دار الفكر، بيروت، دن، ص 601.

³ القرآن الكريم، سورة هود الآية، 61.

⁴ أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص74-75.

⁵ حسن موسى محمد العقي، المرجع السابق، ص 75.

⁶ محمد عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، د.ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1953، ص76، 81.

⁷ عبد الوهاب كيالي، الموسوعة السياسية، دار الشفيق، 1989، ص172.

والحركة ويعمل على تهديم الفرد المستعمر بوسائل ظاهرة وذلك بوضع الصعوبات والعراقيل أمام المستعمر لتعطيل الفرد ومحو عبقرتيه والانتقاص من قيمته وتخطيم قواه الكامنة فيه، وذلك من خلال الخط من قيمته بطريقة فنية كأنه معامل جبري وضع أمام قيمة كل فرد، بقصد التنقيص من قيمته الإيجابية، وتحويله إلى كتلة جامدة لا معني لها في الحياة،¹ ولقد رأينا هذا (للمعامل) يؤثر على حياة الفرد في جميع مراحل حياته، يؤثر فيه وهو طفل، حيث لا يمدده المجتمع بما يقوي به جسده، ويطوره فكره، أو يهيئ له مدرسة أو توجيهها، هذا إذا كانت لديه أبوه.

أما إذا فقد الأب منذ نشأته، فسوف يؤول الطفل إلى ماسح أحذية، أو سائل يتخلى عن عزته وكرامته، فأما إذا كتب له النجاة من كل هذه النكبات، وهيئت له الأسباب لأن يدخل إلى المدرسة، وينجح فستوجهه العراقيل التي توضع في طريقه، لمنع من الوصول إلى هدفه أو نجاحه وذكره مالك بن نبي في كتابه "ممتحنون بلا انتصاف وحكام بالشفقة، ومستخدمون بلا ضمير.. وأخيرا فكم يلاقي ذلك الفتى المسلم في سبيل الحصول على وظيفية حقيرة!"

وليس هذا فقط بل سيسخر الاستعمار كل وسائله إلى تعطيل حياته الاجتماعية من خلال شبكة مسمومة تسلبه كل وسيلة لإقامة حياته، وتنشر حوله الأفكار المحطمة لقيمه والمعرقلة لي مصالحه.²

فهناك إذن واقع استعماري هو ذلك معامل الاستعماري، وهكذا تكلم البعض في شأن هذا المعامل بالسان السياسية، فطالبوا بالحقوق التي تجاهلها الاستعمار، وأغفلوا الواجبات، وأصبح هذا الحديث مظاهر المأساة التي يعانيتها الجنس البشري في عصرنا، وتكلم آخرون بلسان الواجبات، كقادة أمنوا للشعب الفوز بحقوقه كاملة.³

ومن هنا وجب ذكر بأن بن نبي يري الاستعمار الوجهة التاريخية نكسة في التاريخ الانساني، لأنه إذا بحثنا عنه فسنجد أصوله الأولى تعود إلى روما القيصرية حيث وضعت المدنية الرومانية طابعها الاستعماري في سجل التاريخ، وقد أعقبها العهد الاسلامي الذي تميز في الواقع بنوع جديد في تاريخ علاقات الشعوب، فقد كان الحكم الاسلامي هدفه الفتوحات وفتح بلاد كجنوب فرنسا وافريقيا الشمالية واسبانيا لا لاستغلالها وإنما لضمها للحضارة الاسلامية في العراق والشام والواقع التاريخي يشهد بأن الاسلام لم يكن يعم البلاد كدين فقط بل كحضارة.⁴

¹ حسن موسى محمد العقي، المرجع نفسه، ص، 79، 80.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، ط، تر: عبد صبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص، 147، 146.

³ عمر كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء والتجديد، ط1، دار الفكر، ج1، دمشق، 2013، ص، 474.

⁴ مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص، 149، 148.

لكن أوروبا نست أو تعمدت النسيان التجربة التي عبرها فتحت الباب للقديس هيربرت ليتعلم اللغة العربية، لذلك لاحظ جميع الوسائل قد اتخذت لمحو الحضارة الإسلامية من سجل التاريخ من أجل ذلك زور الكتاب الغربيون التاريخ، على الرغم من سلبيات المعامل الاستعماري ومخلفاته إلا أنه كان له جانب إيجابي لأنه هو من أيقظ الشعب الذي استسلم لنوم عميق، لذلك وجب على المسلم التفكير لتمرّد وإيجاد حلول لهذا المأزق وهو الاستعمار.

إن الاستعمار يريد أن تنتشر البطالة ليحصل من ورائها على يد عاملة رخيصة ويسعي إلى نشر الانحطاط الأخلاقي كي تشيع الرذيلة بيننا، ومحاربة الفضيلة والتعليم التي تحاول جمعية العلماء نشره في بلادنا، وتطبيقه لسياسية فرق تسد لتشتت مجتمعنا وتفريق أفرادها إلى شيعة وأحزابا وتشجيع على سياسات الانتخابية التي تصرف ما لديه المستعمر من مال وشل فكرها وابعادها عن مهامها الأساسية، و بذلك تكون العلة مزدوجة فكلما شعرنا بدء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج فإننا ندرك في الوقت نفسه معاملا باطنيا يستجيب للمعامل الخارجي ويحط من كرامتنا بأيدينا.¹

يري مالك بن نبي أن المجتمع الإسلامي عاجز عن تحقيق نهضته وبناء حضارته مدام أفرادها يتصرفون بلا مبالاة والسلبية اتجاه مشكلات الواقع الذي يجسده له الاستعمار وفرضه عليهم، وحالة الرضا والقبول بالأوضاع المتدهورة دون بذل جهد لتغييرها وهو ما يسميه الأستاذ بن نبي بالقابلية للاستعمار، والتي تستمد معناها من المناخ الاجتماعي والثقافي في مجتمع الانحطاط أو انسان ما بعد الموحدين كما يتجلى ذلك في جميع المجتمعات المستعمرة، إن الهزيمة النفسية التي يعاني منها أفراد المجتمع الإسلامي دفعت بهم إلى السير إلى الخلف والابتعاد عن التحضر والتقدم وذلك من خلال الاستسلام لمشاريع الاستعمارية وقبولها، واصدار الاحكام على حساب المقاييس الاستعمارية ويبقى المعامل الاستعماري كوسيلة تنتهجها السلطة الاستعمارية اتجاه المجتمع المستعمر أو الفرد المستعمر كعينة يحط من القيمة الفعالية للإنسان سواء كان فردا أو المجتمع ككل.²

المبحث الثاني: القابلية للاستعمار.

يعتبر هذا المفهوم شديد الجاذبية، لأنه على ما يبدو يلخص نصف مشكلة الاستعمار، فهو يطلب منا تسليط الضوء علي النقائص الداخلية في بني المجتمعات التي وقعت ضحية الاستعمار بعد أن كان التركيز المعتاد

¹ محمد العاطف ، معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، جامعة الك بن نبي، شروط النهضة، المصدر نفسه، 149، 148. الجزائر، 2007/2008، ص42.

لحركات¹ التحرر ينصب أساسا على الدور الذي قامت به القوى الاستعمارية في تأييد التخلف أو حتى في صناعته إذ لم يكن موجودا.2

وقد طرح هذا المصطلح "القابلية للاستعمار" من طرف مالك بن نبي سنة 1948 في كتابه شروط النهضة،³ ويقصد به الهزيمة النفسية التي يصاب بها المستعمر، ليصبح قابلا للاستعمار و مدافعا عنه وهو معامل داخلي نفسي، فهو معامل يجعل الفرد يتقبل المفاهيم التي يفرضها عليه الاستعمار، ويتقبل الحدود التي يرسمها ويتقبل المصطلحات التي تقلل من قيمته ويأخذ في استعمالها و ترديدها حتى يصبح لها أثرا نفسي، فهو معامل يجعل الفرد يتقبل المفاهيم التي يفرضها عليه الاستعمار، ويتقبل الحدود التي يرسمها له ويتقبل المصطلحات التي تقلل من قيمته ويأخذ في استعمالها وترديدها حتى يصبح لها أثرا نفسيا على ذاتية المستعمر، مثل "مصطلح الأهلي" الذي أطلق على الجزائري الذي يحمل معنى الاحتقار وتذليل وبتالي نأخذ أنفسنا حسب المقياس التي يقيسنا به الاستعمار.

فيقول مالك بن نبي "إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وادراك منها مواطن الضعف فسخرنا كما يريد، كصواريخ موجهة، أنه يسخرنا وأعراضنا لأغراضه" ومن خلال ما تقدم يذكر لنا مالك بن نبي نموذجا حيا على عدم القابلية للاستعمار وهم اليهود الذين كانوا يعانون من الاضطهاد في الحرب العالمية والثانية وفرضت عليهم القوانين القاسية في جميع مجالات الحياة من تجارة وتعليم إلا أن العوائق التي كانت تواجهها في طريق لم تكن سببا في رضوخها وتقبلها للواقع بل على لعكس عملوا جاهدين على استعادة أنشطتهم التجارية وإعادة بناء أنفسهم وإصلاح حياتهم من جديد وكل هذا راجع لأنفسهم التي لم تكن معلولة في باطنها ولم يوجد فيها عائق داخلي يحط من قيمة أنفسهم بإضافة إلى تعاضدهم فكانوا جميع الأفراد كايد واحدة وإن لنجد في نجاحهم المثل الانتصار الفرد على البيئة، مهما كانت الظروف الحياة، وهكذا تعلمنا كيف تؤدي القيام بالواجبات إلى كسب الحقوق .⁴

1 محمد شاويش، مالك بن نبي والوضع الراهن، ط1، دار الفكر، دمشق، 2007، ص10.

2 محمد شاويش، المرجع السابق، ص10.

2 احسن برامه، ثنائية القابلية للاستعمار والفاعلية في فكر مالك بن نبي، مجلة المعيار: العدد 6، مجلد23، كلية اصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، العلوم الاسلامية، 2019، الجزائر، ص235.

4 مالك بن نبي، شروط النهضة، د.ط، تر: الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص159، 154، 147، 146.

كما أن القابلية للاستعمار تتجلى في ذلك الكسل العقلي والعملية الذي نواجه به مشكلات تتطلب الفعالية والهمة العالية والنشاط الدائم فلا يمكن لمجتمع يريد تحقيق النهوض أن يعطل طاقات البشرية هائلة ويهمل البحث العلمي وتقدر الطاقات أو يتم تشغيلها في مشكلات ثانوية واهمال الجوهرية .

لقد شبه بن نبي المجتمع الاسلامي سفينة التي مهددة بالغرق ونحن على متنها فيجب إعلان حالة الطوارئ لإنقاذ السفينة وأهلها من الورطة، ويعني المجتمع الاسلامي والمسلمين، وإنقاذ السفينة من أمواج التي تواجهها من كل جانب، لذلك يتطلب توجيهها إلى بر الأمان وتحديد المرفأ، ويقصد به أن لكل مجتمع إنساني¹ مهددة سفنته بالغرق لذلك يتجسد بر الأمان أوالمرفأ في أمران هما:

1- دينه: وهو عقيدته أو الطاقة التي تجعل المجتمع يتمكن من المواصلة مسير.

2- حضارته:إى الامكان الحضاري الذي يخوله القيام بوظيفته التاريخية بوصفه مجتمعا متحضر يقدم جميع الضمانات اجتماعية لكل فرد يعيش فيه.²

يقول أحد المصلحين (أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم).³

و من خلال ما سبق تبين أن الاستعمار لا يتصرف في طاقاتنا الاجتماعية إلا أنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة وأدرك منهما مواطن الضعف فسخر المستعمر كما يريد وجعله أقلاما يكتب بها لخدمة مصالحه ولتنفيذ مشاريعه الاستعمارية.⁴

المبحث الثالث: سيكولوجية الاستعمار.

عندما ينزل جيش أجنبي بأرض شعب فإن هذا الشعب يكون معرضا ليرى إما احتلال مؤقتا في بلاده، وإما عملية ضم تضعه تحت سلطة شعب آخر وكلا هذين الاحتمالين له خصائصه بالنسبة للشعب الذي تعرض لهما.

¹محمد العاطف، المرجع نفسه،ص43.

² مالك بن نبي، مجالس دمشق، ط1، دار الفكر،دمشق،2006،ص61،60.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق،ص155.

⁴محمد العاطف ،، معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي ، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر ،2007\2008

،،ص44.

بالنسبة للاحتلال المؤقت فإنه لا يؤثر في حياته إلا بصفة عابرة كمجرد حدث يخضعه مؤقتا لحاجات أجنبي يفرض متطلباته من حيث الأمن والتموين في البلد المحتل وذلك طبقا لشروط يهيمن عليها قانون عسكري ينتهي نفوذه مع تصفية الوضع الحربي.

يركز مالك بن نبي في هذا الجزء من كتابه عن الواقع الاستعماري حيث سلط الضوء عليه لكشف خبايا هذا الموضوع لزيادة معلومات جديدة تثري بصفة عامة دائرة معارفنا، مثل الفكرة التي طرحها منوبي عن تناسب الغريب الموجود بين الجانب الموضوعي (وحدة المكان) و الجانب الذاتي (وحدة الزمان) فيفسر المؤلف بذلك النزعة¹ العنصرية أي الشيء الرئيسي في نفسية الاستعمار، وحدد لنا الارهاصات الاولى للحروب الاستعمارية التي كانت بداياتها خلال حروب الفينيقية التي سعت لتحطيم قرطاج في العهد الروماني.

عند دخول الجيش الفرنسي بسيدي فرج سنة 1830 وإعلان حالة الحرب التي كانت تخفي حقيقة تاريخية ابعد من الفكرة الفرنسية، بل كانت تهدف إلى خلق مجتمع جديد لا هو بالجزائري ولا بالفرنسي وهذا ما أكدته الحقيقية التاريخية، فلو اتخذنا 1930 كنقطة بداية لتاريخ التطور الاجتماعي في فرنسا والجزائر لوجدنا ربما أن الشعب الجزائري في المستوى المعيشي يتمتع بسير مادي أكثر من الشعب الفرنسي حيث كان الانتاج الزراعي متوفر نسبيا في الجزائر أكثر من فرنسا.

لكن مع نزول القوات الاستعمارية أصبحت جميع الموارد بالجزائر بيد فرنسا فسيطر عليها مما أدى إلى تدهور أوضاع المستعمرة، كما نصب الاستعمار نفسه مثلما تنصيب السلطة الشرعية شخصا يقوم بمصالح القاصر حتي يبلغ رشده وليس مفهوم الحماية في العرف الدولي، الخاص في عهد الاستعمار إلا امتداد لمفهوم الحضانة في العرف الشخصي، رغم ما يحمل هذا الامتداد من تجاوز وتعسف نحو حقوق الشعوب المستعمرة، على أن الشيء الذي تعارف عليه الناس هو أنه إذا حدث في تصرفه تسند إليه حضانة القاصر، أي أمر يخل بمصلحة هذا القاصر فإنما لمجتمع يتدخل كي يلغي حضانة لا تفي بشروطها، خاصة إذا استهدف الحاضن إبقاء القاصر في حالة قصور بوسائل غير شرعية بتزييف إدراكه وفكره وتلويث طبيعته، ولا يتوقف هذا الامر هنا فقط بل يمتد لدرجة استخدام مهارة ماهرة من طرف الاستعمار في إخفاء وإنكار الوقائع وتلاعب بالمصطلحات حسب ما يتمشى مع مصالحها، ولا يكتفي باختلاس مصالح القاصر وحرمانه منها فقط وإنما يختلس ذاته بإقرار بأنه قاصر إلى الابد وغير قابل لنمو والتطور وبذلك تفقد الحضانة معناه الشرعي والأخلاقي، وبل قد يذهب الاستعمار إلى أبعد من ذلك فهو لا يستهدف تحطيم القاصر ماديا فقط، بتطبيق اختلاسات الحقوق وفرض الضرائب وسلب الأملاك، و تنمية البطالة في البلاد وما يتبعها من مشاكل اجتماعية، بل إن هدفه أبعد من ذلك فهو يريد تحطيم

¹ مالك بن نبي، في مهب المعركة، ط3، دار الفكر، دمشق، 2002، ص32.

كل إرادة تدفع القاصر إلى التقدم أو إلى الحضارة ببرنامج مخطط يتضمن كل ما يتطلبه هذا التحطيم المعنوي من تلوين خلقي يحط من قيمة الفرد الشخصية، ومن كفاءته ومن جهده في الاطار الاجتماعي، وبتالي كلما وضع الاستعمار المخططات اللازمة لإفقار الشعب المستعمر ماديا، فإنه يتبعها بالترتيبات الخاصة، بتلوينه الأخلاقي، ليزيد الافتقار والتلوث الأخلاقي معا مما ينتج عنه اتساع الهوة التي يجعلها أمام القاصر حتي لا يستطيع بلوغ رشده أبدا.¹

أما بالنسبة إلى العلاقة مباشرة بين القاصر والحامي فتعتبر أن أي مطالبة من قبل القاصر للمستعمر كي يعترف برشده خروجا عن الطاعة وصاحبه يرتكب جريمة تعصب وعنصرية وحقد على الأجنبي في نظرا الاستعمار وبتالي يتعرض القاصر إلى القمع كأسلوب لردع، حيث يلخص بن نبي عمل الاستعمار في أمرين مهمين حسب رأيه وهما:

أ- مدارس تخرج طلبة قابلين للسيطرة الأجنبية.

ب- تلوين أخلاقي للشعوب المغلوبة مع إفقار اقتصادي وثقافي.

وفي حالة ما إذا كان هناك أحد من المثقفين وامتاز بتوجيه سليم وعقل منير في مجال السياسي والثقافي، وكان مستقيما في مسلكه وقادرا على التأثير في الناس، وتوجيههم للأهداف السلمية من خلال بساطة ثقافته، فإن المستعمر يحاربه أولا بالإغراء وبإغواء لكي يحوله من عنصر فعال في مجتمعه إلى² عميل له يروج له أفكاره. وإذا فشل في ذلك فإنه ينتقل إلى الأسلوب الثاني وهو تأليب الشعب عليه، وإثارة الإشاعات حوله عبر أبنوا الاستعمار المأجورة³، وحسب ما ذكره بن نبي كتابه الصراع الفكري حيث قال في ذات السياق "إذا ان الاستعمار سوف يجتهد ... في امتصاص القوي الواعية في البلاد المستعمرة بأي طريقة ممكنة ... ومن البديهي أنه سيحاول أولا تعبئتها لحساب فكرة متجسدة تجسدا معه أقرب إليه منالا، لأنه يمكنه مقاومتها إما بوسائل القوة أو بوسائل الإغراء"⁴.

إن ذلك التخريب الذي يمارسه الاستعمار ضد أفكارنا أو صراع الأفكار، هو ذلك العالم الخفي، الذي يديره الاستعمار بذكائه لكن في الظلام، وهكذا يصبح للصراع الفكري ظروفه الخاصة بالنسبة لمن يجد نفسه متورطا فيه في مستعمرة كالجائز أي بلاد كانت تجهل معركة الأفكار التي كانت تدور في أرجائها، فيأبي هذا الاستعمار أن يعزل من دخل المعركة حتي يجد نفسه في وضع الفدائي الذي يخوض غمار المعركة حتي على حسابه الخاص دون أي دعم⁵.

¹ مالك بن نبي، في مهب المعركة، المصدر السابق، ص35،32،19-40.

² مالك بن نبي، في مهب المعركة، المصدر السابق، ص42،41.

³ أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، دار النفائس، بيروت، 1984، ص124.

⁴ مالك بن نبي، الصراع الفكري، تر: كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، د.ط، بن مريط، الجزائر، 19،18.

⁵ عمر مسقاوي، مقاربات حول فكر مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 2008، ص137.

يذكر مالك بن نبي في هذا السياق "إلى المثقف العربي نفسه، الذي كافح ضد الاستعمار ضمن (جبهة وطنية)، إنه على الرغم من ذلك، أو على الأصح بسبب ذلك،... وجد نفسه في وضع الفدائي، أي منفرداً في جبهة الصراع الفكري في بلاده" لأن الاستعمار أي السياسية الاستعمارية تستغل جهل الجماهير لينشئ حول الفكرة منطقة فراغ وصمت لعزلها على المجتمع، وهكذا حتى يصل إلى أدنى مستوى فستستخدم المال كسلاح ليكون به صداقات فالمال وسيلة جذب لتوجيه بعض الهجمات المحكمة في الوقت المناسب على بعض القطاعات من الجهة الفكرية.¹

ربما تلخصت هذه السياسة الاستعمارية في ذهن أحد الساسة الفرنسيين عندما صرح قائلاً: إن سياستنا لا تخطئ لأنها علم، هذا واقع سياستهم لم تخطئ، أنه تنسيق وتركيب في غاية الدقة والتخطيط في البلاد المستعمرة "إن كلمة استعمار أخطر سلاح يستخدمه الاستعمار واحكم فح ينصبه للجماهير".

إن الاستعمار شيطان بحيث يحسب لكل أعماله وأقواله، حتى لا ينفك الاتصال بين مصالح مركب الأفراد، وبين شهوات البطون المؤثرة وبين الأوضاع في خطة الاستعمار الاستراتيجية، التي تقضي في حالة التطبيق: أولاً: أن يضرب الاستعمار كل قوة مناهضة له تحت أي راية تجمعت.

ثانياً: أن يحاول في كل الظروف بينها وبين أن تتجمع تحت راية أكثر فعالية.²

وهذان الشرطان يحددان استراتيجية الاستعمار في الصراع الفكري في البلاد المستعمرة: إنه يحول بين الفكر والعمل السياسي حتى يبقى الأول غير مثمر والثاني أعمى، وهو من أجل ذلك يطبق طريقة التجميد أي تجميد العدو في نقطة معينة خلال جبهة القتال، فالاستعمار يتبع في ذلك طريقة تطبق في بعض الألعاب الإسبانية: إنهم يلوحون بقطعة قماش حمراء أمام ثور هائج في حلبة الصراع، فيزداد هيجانه بذلك فبدلاً من أن يهاجم على المصارع يستمر في الهجوم على المندبل الأحمر الذي يلوح به حتى تنتهك قواه.

وهذا نفس المثال يطبق على الشعب المستعمر في مناسبات معينة لكي يستفزه ويثير غضبه، ويغرقه في حالة شبيهة بحالة تنويم تفقده معها شعوره ويصبح غير مدرك لمواقفه، وعن الحكم عليه حكماً صحيحاً، فيوجه ضرباته وامكانياته توجيهها أعمى، ويسرف وقته وطاقته دون أن يصيب بضربة صادقة المصارع الذي يلوح بالمندبل الأحمر... واتباع هذا الأسلوب في مجال السياسة شبيه بالمراوغة و تلاعب بالجماهير و تضليلها عن جادة صوابها

¹ مالك بن نبي، الصراع الفكري، المصدر السابق، ص19، ص23.

² عمر كامل مسقاوي، مقاربات حول فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص137.

ويستمر المستعمر في تحريك المنديل كي لا يترك فرصة للشعب المستعمر يتدارك فيها ويفكر في مشكلاته بمنطق
الفعالية.

الصراع الفكري في البلاد المستعمرة؟ لهذا المفهوم تجهله على العموم هذه البلاد وتجهل قيمة الفكرة في
مصير المجتمعات كما تجهل الخطط الاستعمارية الدقيقة التي يرسمها بهدف التحكم في مصير الشعوب المتخلفة عن
طريق أفكارها، وبصيغة أخرى أن الشعوب المستعمرة تعيش في حلبة الصراع وتسجل نتائجه السلبية في حياتها
من¹ جميع الجوانب "أفكارها، أخلاقها" دون أن تشعر تلك البلاد أن معركة مرت بجانبها أي أن الأشياء تمر علينا
تصل إلى شعورنا لأننا نمر على سطح الأشياء "دون أن نصل إلى مكنونها ويمكننا أن نصف حالة حدثت فعلا
عندما ظهرت الطبعة الفرنسية من كتابي "شروط النهضة" بالجزائر وضع الاستعمار أصبعه على الزر الخفي فانطلق
التيار المضاد بثلاث أفعال: صدر رد فعل الأول في جريدة جمعية العلماء المسلمين في مقالين يصف صاحبهما
الكتاب بأنه في مجمله مقتبس من مقالات نشرتها جريدة باريس الكبرى، هي لسان حال الحكومة الاستعمارية
تقريبا بإمضاء مراسلها في القاهرة، ثم أتى رد فعل الثاني في جريدة حزب وطني في مقالين أيضا يتظاهر صاحبهما
بنقد نزيه للكتاب فأورد نقد تحت عنوان "خطوة مخطئة"، ووصف الجناح الشيوعي الكتاب في جريدته المركزية بأنه
الكتاب ليس موجها للجزائريين وبأنه كتاب يستحق الرضا من الاستعمار، وي طرح مالك بن نبي تساؤلات التالية
في هذا الموضوع بالنسبة لمقال العلماء كيف عرف صاحب المقال أن كتابي ينسب لجريدة باريسية مع علمنا أنه لا
يقرأ تلك الجريدة؟ لقد عمل الاستعمار على تحويل المعركة التي كانت بينه وبين الكاتب إلى قضية أي معركة بين
الكاتب وبين الهيئات وطنية وكان بالإمكان أن تكون في صفه لولا صراع الأفكار وهذه الخطة التي تحول المعركة
لصالح الاستعمار تطبق بنجاح في ميدان كفاح الجماهير، فحينما تكون الأحداث والظروف وحدة كفاح شاملة
ضد الاستعمار، نرى هذا الأخير يعمل على خلق وحدات كفاح جزئية حتي يحدث الخلاف والتنافس بين القوى
التي تقاومه وهذه الخطة تحقيق للاستعمار هدفين:

أولاً: التخطيط من المستوي الروحي أو الايديولوجي التي تكون المعركة ضده.

ثانياً: تشتيت وتفكيك القوى الموجودة في المعركة.

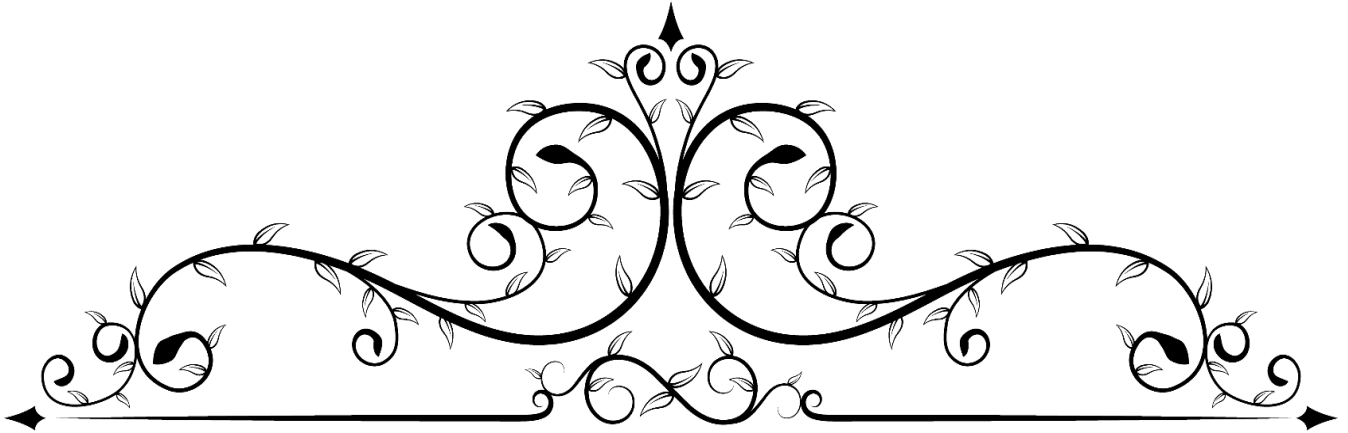
" أكبر لحظات التاريخ هي دوما اللحظات التي تكون فيها وحدة كفاح شاملة ضد الطبيعة أو ضد البشر"، فإما
النتيجة الأولى أن المعركة إذا ما فقدت طابعها كوحدة شاملة فإنها تفقد بذلك من معنوياتها وقداستها في نظر

¹ مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، 1979، ص68، 67، 65، 64، 63، 62.

الجماهير، وبمجرد تنقسم وحدة الكفاح الشاملة إلى وحدات كفاح جزئية حتي يتحقق الانحطاط والهبوط في المستوى الروحي فإن القوى المكافحة تتبدد وهذه هي النتيجة الثانية.

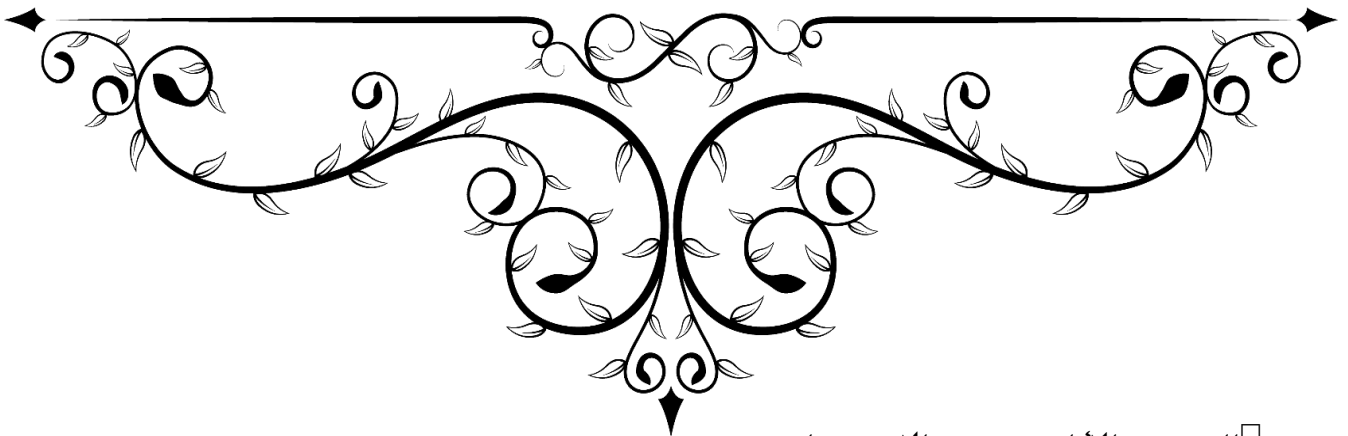
و يضرب مالك بن نبي مثالا بواقعة صفين التي تمثل الوحدة الشاملة التي بناها الرسول صلي الله عليه وسلم وذكر الانشقاق الذي حدث فيها وتبعاته السلبية، ولاشك أنا التاريخ السياسي الحديث، في أي بلد مسلم سجل فصلا كهذا أعني أنا الاستعمار يشعل نفس الأوضاع النفسية ، فهو يثير الغضب الأعمى عند الجماهير ويغذي شهوات القادة، وهكذا تستطيع المختبرات المختصة أن تصرف كل إمكانياتها الفكرية والمادية إلى معارك وهمية، نسمع فيها قعقعة السلاح ودوي الحرب ولكننا في الحقيقة نصارع الأشباح التي تحركها أمامنا أبصارنا المسحورة يد خفية ماهرة.¹

¹ مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،المصدر السابق،ص62-67.



الفصل الثالث:

الاستشراق من منظور مالك بن نبي



المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

المبحث الثاني: مجالات الاستشراق.

المبحث الثالث: موقف مالك بن نبي من الاستشراق.

المبحث الاول: مفهوم الاستشراق.

الاستشراق فعله "شرق" وفي معاجم اللغة: "شرقت الشمس": طلعت وبابه نصر ودخل،¹ وشرق: أخذ في ناحية الشرق، والشرق: الشمس وجهة شروق الشمس. وشجرة شرقية تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار.²

ومصطلح الاستشراق وما يتصل به نحو "مستشرق" يعد من التسميات الحديثة، وإن كان مدلولها غير حديث - كما سيظهر لنا عند الإشارة إلى نشأة الاستشراق وتاريخه، ويقول إسحاق موسى الحسيني أن "لفظة استشراق" ومشتقاتها مولدة استعمالها المحدثون من ترجمة كلمة Orientalism ثم استعمالوا من الاسم فعلا، فقالوا استشراق وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي، والمدققون يؤثرون استعمال "علماء لمشقيات" بدلا من "مستشرقين" ويؤثرون استعمال عرباني" لدارس العربية مقابلة للفظه Arabist ولكن لفظه "استشرق" ولفظة "مستشرق" قد شاعت شيوعا كبيرا، ولا بأس من استعمالهما في بحثنا هذا.³

وكما ورد في تعريف الاستشراق في الموسوعة المسيرة بأنه "هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي،⁴ واشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بفتنهم وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم وأساطيرهم المتاح للجميع، بل إن المجتمع المسلم في القديم والحديث مثار اهتمام كثير من الثقافات الأخرى، لما يحدثه هذا المجتمع من أثر على الحياة الاجتماعية، ليس في مجتمع المسلم فحسب، ولكن في أي مجتمع تتواجد به أقلية مسلمة، إلا أن اهتمام غير المسلمين بعلوم المسلمين ينقصه عامل مهم في الدراسة المنهجية والموضوعية،⁵ ومعني آخر للاستشراق فهو أسلوب تفكير يقوم علي التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق"، وبين ما يسمى (في معظم الأحيان) "الغرب" وهكذا فإن عدد بالغ الكثرة في الكتاب من بينهم فلاسفة واقتصاديون وشعراء قد قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب باعتباره نقطة انطلاقا لوضع نظريات مفصلة.⁶

¹ اسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط3، مدرسة الدعوة والثقافة العلمية، المنصورة، 2000، ص9.

² ابراهيم أنيس وأخرون، معجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية، ج1، القاهرة، 1982، ص480.

³ اسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص10، 9.

⁴ اسماعيل علي محمد، المرجع نفسه، ص10، 9.

⁵ علي بن ابراهيم الحمد النملة، الاستشراق والدراسات الاسلامية، موسوعة الدراسات الاستشراقية، ج3، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1998، ص125.

⁶ إدوارد سعيد، الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، ط1، دار بنجوين العالمية، القاهرة، 2006، ص125.

أما على حسب تعريف الذي ذكره بن نبي للاستشراق فهو "إننا نعني المستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي وعن الحضارة الاسلامية"¹، وعلى رغم من عدم معرفة من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس خلال فترة ازدهارها ومجدها، وتوقفوا في مدارسها، وترجموا الكتب العربية والقرآن إلى لغاتهم وتعلموا على يد علماء المسلمين في مختلف العلوم وخاصة الطب والرياضات والفلسفة، وبعد عودت هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم²، ثم علينا أن نصنف أسماء المستشرقين في شبه ما يسمى باسم طبقات على صنفين: **أ- من حيث الزمن:** طبقة القدماء مثل: جرير دويباك والقديس توماس الأكويني، وطبقة المحدثين مثل: كاره دوقو وجولد تسهير.

ب- من حيث الاتجاه العام نحو الاسلام والمسلمين لكتاباتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.³

فقد تمثلت طبقة المنتقدين للحضارة الاسلامية في هؤلاء النصارى واللاهوتيون الذين نشطوا في وقت مبكر ضد الاسلام وقاموا بنشر الأكاذيب والافتراءات حول الاسلام ونبيه وزعموا أن الاسلام قوة خبيثة ومن بين المنتقدين، الأب لامانس المثل الفريد للمستشرق الطاعن على الاسلام ورجاله، كان لهذا الرجل فضل في لكشف عن بغضه الشديد للقرآن ومحمد صلي الله عليه وسلم، ولم يكن الهدف عرض صورة موضوعية على الاسلام لذا ذكر لنا ساذرن على هذه الفترة في كتابه (نظرة الغرب إلى الاسلام في القرون الوسطى) عنوان "عصر الجهالة" وهو عصر أبعد ما يكون عن روح العلم والموضوعية وفي ذلك يقول ساذرن (على أن الشيء الوحيد الذي لا نتوقع وجوده في تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية، أو البحث الانساني الذي تميز بيه الكثير من البحوث التي تناولت الاسلام في المائة سنة الأخيرة)⁴

أما بنسبة لطبقة المادحين فيشير لنا بن نبي على أن للمستشرقين المادحين الأثر الملموس الذي يجب أن ندركه بأنه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لرد الفعل، حيث لم يكن هناك، في بادئ الأمر، مبرر للدفاع الذي فقد جدواه وكأنما أصبح جهازه معطلا " لهذا السبب في نفوسنا، وهدفنا هنا هو توضيح ما كان لهذه الثغرة في جهاز

¹ مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر، دمشق، 1991ص67.

² مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقين ما هم وما عليهم، د.ط، دار الوراق، دت، ص18، 17.

³ مالك بن نبي، القضايا الكبرى، المصدر السابق، ص167.

⁴ محمد أحمد زقروق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، دار المنار، القاهرة، 1989، ص 29، 39.

الدفاع¹ عن الكيان الثقافي من أثر في تطور أفكار المجتمع الاسلامي منذ قرن ولاشك أن المستشرقين المادحين مثل: دوزي الذي بعث قلمه قرون الأنوار العربية في اسبانيا، وسيديو الذي جاهد جهاد الأبطال طول حياته، من أجل تحقيق للفلكي والمهندس العربي أبي الوفاء لقب المكتشف لما يسمى في علم الهيئة (القاعدة الثانية لعلم القمر)، لاشك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية، وللتاريخ، وكذا ذلك من أجل مجتمعهم الغربي، ولكننا نجد أن أفكارهم كان لها وقع أكبر من المجتمع الاسلامي في طبقاته المثقفة.

فإذا تصفحنا هذه القضية في ضوء خبرتنا الحديثة نجد أن هذه الوسيلة لم تقتصر انعكاساتها على الأثر الحمود في تطور ثقافتنا وأفكارنا بل كان لها أثر مرضي، أي أن العالم الاسلامي يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية²

و يعاني بسببها أثرين: مواجهة مركب نقص المحسوس من ناحية و محاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة.³

مبحث الثاني: مجالات الاستشراق.

أ-المجال الحضاري:

نقصد بالمجال الحضاري كل المكونات الاجتماعية والتاريخية والدينية والمعرفية، ويتمثل المكون الاجتماعي حسب مالك في: " الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، ونفهم من هذا التعريف عدم الثبات والاستقرار في مسار الشعوب، وإبلاء أهمية بالغة للحركة الاجتماعية والتاريخية والتغيير المطرد في كل المستويات، وهذا ما يعطي أهمية بالغة للزمن من حيث الموازنة بين الائتلاف والاختلاف من جهة، ويتطلب التفتح على المجتمعات الأخرى والتجارب المغايرة من جهة أخرى (وهذه العملية تتم طبقا لتخطيط نظري عام يشتمل بالضرورة على الجانب الآتية أولا، المصدر التاريخي لعملية التغيير المطردة، ثانيا، المواد التي تمر بتأثير هذا التغيير من حالتها قبل الاجتماعية بحيث يمكن أن تحوزها اليد المغيرة إلى حالتها الاجتماعية، ثالثا، القواعد العامة أو القوانين التي تتحكم في هذا التغيير)⁴

وبناء على هذا التقسيم الثلاثي، أن الكاتب يرجع اشكالية التغيير المطرد اجتماعيا إلى أسباب جغرافية طبيعية وهو النموذج الفكري الايديولوجي، وفلسفته الاجتماعية، وعمادها الانسان، باعتباره العنصر المؤثر في

¹ مالك بن نبي، القضايا الكبرى، المصدر نفسه، ص168.

² مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر، دمشق، 1991، ص 170، 196.

³ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، ط1، دار الارشاد، بيروت، 1969، 29، 20، 13.

⁴ مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، ط2، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1974، ص 15، 9.

التراب عبر الوقت الحضاري، فأكد بذلك ضرورة الوعي الاجتماعي بموقعنا من التاريخ ومن الحضارة الانسانية حتى تدرك عوامل النهضة والسقوط فينا، ويرى أن ما نعيشه من تخلف يعتبر¹ "عقوبة مستحقة من الاسلام على المسلمين لتخليهم عنه، لا لتمسكهم به كما يزعم الزعموان"² ويربط البعد الاجتماعي بالحركة التاريخية التي يعللها ويفسرها في حقيقتها بمجموع من العوامل النفسية والروحية، وإذا أردنا تفسيراً أدق فإننا نقول: إن صناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث: عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء، وما يمكن ملاحظته أن هذه العوامل وإن تجمعت مع بعضها، وتقاطعت في وظائفها وغاياتها بغية تحقيق نهضة المجتمع و تطوره، فإنها تجنح إلى التنظير والوهم والتخييل أكثر منها إلى الواقعية، لأنه يعسر علينا أن نجتمع هذه العوامل الثلاثة من أجل عمل مشترك، فهذا الاتفاق بين الأشخاص والأفكار و الأشياء نبقى نشده ولا نحققه، إلا أن مالك له رأي يخالف ما ذهبنا إليه إذا "هداه العوالم الثلاث لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج ايدولوجية من عالم الأفكار" يتم تنفيذها بوسائل من أجل غاية يحددها من عالم الأشخاص³

إن التعالق بين البعدين الاجتماعي والتاريخي، فإنه لم يقص البعد الديني بل قد يراه محركاً أساسياً لكل نهضة وتغيير أي مجتمع إنساني، معتقداً أن البعد الديني هو المحرك الرئيسي للنهضة الأوربية، وبذلك اعتبر أن الظاهرة الأوربي هو في الواقع نوع من التجسيد للفكرة المسيحية، وأن الدين هو المحرك الأساسي للتطور والنهضة. ويذكر مالك بن نبي بأن من أسباب التطور هو الإنسان بدرجة الأولى لأنه الوعاء الأشمل لكل تغيير ثم إن التطور لا يقاس بالمعطيات العلمية فقط بل بكل الظروف الاجتماعية والنفسية التي تتشكل في مناخ معين وتنخرط في البناء الحضاري الذي هو وليد الانسان والزمان والتراب.⁴

حيث يرى بن نبي الثقافة على أنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" على عكس الغربيون الذين يذهبوا إلى تعريف الثقافة بأنها فلسفة الانسان أو كما يعتقد الاشتراكيون فلسفة المجتمع فالثقافة سلوكا نظرية في السلوك البشري أكثر من أن تكون نظرية في السلوك البشري أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة فالثقافة

¹ مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، المصدر السابق، ص9، 15.

² مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص76.

³ سياسي بن محمد الضيفاوي، الرد على الاستشراق في الفكر العربي (مالك بن نبي اغوذجا)، د.ط، مؤسسات دراسات وأبحاث، الرباط، د.ت، ص8.

⁴ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر نفسه، ص72.

سلوك أما العلم فمعرفة. وما يمكن استخلاصه من كل ما تقدم أن مقارنة بن نبي هي النموذج تفسيري الذي يولي الانسان الصدارة، وبعد الانسان تأتي المعقولة على جميع الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية.¹

ب- المجال الاقتصادي:

لا يمكن للمجتمع أن يستعيد فعاليته إلا إذا وضع نصب عينيه وفي مرتكزات تخطيطه مسلمة مزدوجة " حيث كل الأفواه يجب أن تجد قوتها وجميع الأيدي يجب أن تعمل"، فالمسألة حسب الكاتب ليس مسألة وسائل وامكانيات، بقدر ماهي مسألة أفكار ومناهج، وللاستدلال على ذلك رأي "ماوتسي تونغ" في المجال الاقتصادي، (إن أفضل دليل على سلامة أفكارنا هم نجاحها في اطار الاقتصادي)، إن نرى نجاح ألمانيا بعد الحرب في ظل غياب الامكانيات في حين فشل إندونيسيا على رغم من توفر الوسائل والامكانيات والظروف والخبرة الغربية" المجتمع بكمية ما يملك من الأشياء بل مقدار ما فيه من الأفكار".

وعلى غرار ما حصل من دمار نتاج الحرب العالمية فيهما ولكنهما سرعان ما قامت بإعادة بناء كل شيء بفضل رصيدهما من التخطيط و الأفكار و المناهج.²

ويعتقد مالك بن نبي أن الحلول الفعالة لبناء المجتمع وتحقيق نهضته فقله "أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكن على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنعه، و لا يمكن لمجتمع في عهد التشديد أن يشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج سواء كانت تمتد إلى الاستشراق أو الشيوعية"، لذلك يجب على الإنسان المسلم أن يستعيد أصالته الفكرية، واستقلاله الفكري في ميدان الأفكار بهدف تحقيق استقلالنا الاقتصادي و السياسي.³

إن البحث البديل قد لا يصلح، إذا حلت الحركة والنشاط محل السكون والركود، والبناء على أنقاض الهدم، ووضع الانسان الايجابي مكان الانسان السلبي المحبط، وكسب آليات التغيير ووسائله المناسبة والمتناسقة للأوضاع والمجتمع.

وأن الفرد عليه إدراك ووعي ما يصبو إلى تحقيقه لا يمكن الوصول إليه، إلا إذا جعل تخطيطاً ومنهجاً ومنظومة فكرية، لأنه لا تقدم دون تخطيط، فوسائل التغيير تكون منتجة إذا كانت أصلية وعملية، لكن هذا لا ينفى

¹ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الراجية للنشر، تونس، (د.ت)، ص102.

² مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، تر: بسام بركة، أحمد شعيبو، ط1، دار الفكر، دمشق، 1988، ص118، 113، 112.

³ مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، المصدر السابق، ص48.

الاستفادة من تجارب الآخرين وفهمها، وحسن توظيفها وتطويرها في أطر صالحة وموضوعية نستغلها استغلالا حسنا ونستثمر بآلياتنا.¹

برغم من أن الثورة الاقتصادية قد انتقلت بالبشرية من عنصر البخار إلى عصر الكهرباء والصناعة المتقدمة، ثم عصر الاتصالات والفضاء وأخيرا عصر الالكترونيات لكن هذا لا ينفى دور الأفكار ومكانة الإنسان باعتباره² أساس تغير. القضية" ليست قضية أدوات ولا امكانيات، إن القضية كانت في أنفسنا، وإن علينا أن ندرس أولا الجهاز الأول وهو الإنسان، وليست سلال و غيرها، فإن تحرك المجتمع والتاريخ وإن سكن المجتمع والتاريخ"³

فهذا التقاطع بين الانسانية والحضارات والثقافات والمصالح يفسر أن طريقة لبناء المجتمع وتجاوز مشكلة الاقتصادية والاجتماعية حتي يواكب مصاف الدول المتقدمة، ليس أمرا هينا أو عرضيا بل هو نتيجة تغيير مطرد، وبناء على ذلك هناك مراهنة على الانسان باعتباره رأس المال وعلى هذه الحركة المستمرة المطردة قد طعم هذا التوجه في نظرتة إلى المشكلة الاقتصادية وطرف معالجتها، بما تزوده به من أفكار ماركسية انطلاقا من نظريتي المادية التاريخية والمادية الجدلية(كما تحدث عن هيجلHegel)(*) كيف فسر الحركة التاريخية التي تقوم على مبدأ التعارض، بالإضافة إلى المفكر والمؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي(*) toynbee ونظريته التي تعرف بأن الحضارة استجابة، للتحدي بمعنى أنها رد معين يواجهه به شعب من الشعوب تحديا معنيا)⁴

ج- المجال السياسي:

يرى الكاتب بأن مشكلة العرب و المسلمين تكمن في أزمة الحكم وانتخاب والسلطة الديمقراطية، وإن لم يكن جريئا وواضحا في ذلك إلا أنه لم يكن شاذا عن سياق المصلحين العرب والمسلمين الذين يقرون بضعف السياسي وفساد الاستعمار إلا أن المشكلة التي تطرح نفسها لا تتعلق بطبيعة الثقافة الغربية، بل الطبيعة الخاصة

¹ سياسي بن محمد الضيفاوي، المرجع السابق، ص12.

²مالك بن نبي، تأملات، المصدر السابق، ص 129.

³ مالك بن نبي، تأملات، المصدر نفسه، ص 129.

⁴ مالك بن نبي، من أجل التغيير، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995، ص12، 11.

* هيجل Hegel : جورج فيلهلم فريدريش هيجل(1770-1831) ولد فيشو تغارت فيلسوف ألماني يعتبر هيجل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر ميلادي، قال: إن الكائن والفكر شيء واحد وهو الفكرة تتطور على مراحل: الاثبات ثم الخلاصة له(المنطق الكبير)(أنظر: كتاب مبادئ فلسفة هيجل، يوسف حامد الشين، ص17، 9).

**أرنولد جوزيف توينبي: مؤرخ إنجليزي (1889-1936) من أبرز فلاسفة التاريخ في العالم درس في جامعة أكسفورد التي أصبح فيها مدرسا 1915، كان أستاذ اللغة البيزنطية واليونانية والحديثة وأدائها وتاريخها عام 1916 من أهم مؤلفاته: دراسة التاريخ يقع في اثنا عشر 1934حتى 1961 له عدة كتب أخرى الحضارة في الميزان والتحديات الكبرى (http://: ar. m. w ikpedia .org).

بعلاقتها بها، فيقول أن الأفكار نوعان: أفكار مميّنة وهي نتاج أرتنا الاجتماعي، تولد القابلية للاستعمار باعتبار أننا نحرفنا عن أصولنا، وهناك أفكار مميّنة وهي مستوردة من الغرب تولد الاستعمار واستعبادنا للأخر، "فكرة مميّنة: هي الفكرة التي فقدت هويتها وقيمتها الثقافية بعد ما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها في علمها الثقافي الأصلي، وفي هذه وتلك خيانة أفكار تجعلها سلبية وحضارة..."¹.

ولهذا نستطيع أن نقرر بصفة عامة أن من المخاطر أن نقتبس حلا أمريكيا وحلا ماركسياكي نطبقه على أي مشكلة تواجهنا في العالم العربي و الاسلامي لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها، وتختلف اتجاهاتها وأهدافها.

ومن خلال فكر مالك بن نبي يذكر لنا أن لكل شعب أطره الخاصة سواء كانت أبستمولوجيا أو تاريخية في إطار الحضارة الغربية، حيث يرى أن الحلول في المنطقة العربية والاسلامية من الأصول والنص المؤسس أو لا تكون، لأنه " لا يمكن أن تستورد الحلول كما تستورد من الخارج قضبان الحديد أو المواد الخام"²

ومن أهم القضايا التي عالجتها الديمقراطية باعتبارها بعدا حضاريا وليست انعكاسا اقتصاديا فحسب، حيث توصل إلى أن الفرق بين الاسلام والديمقراطية يكمن في أن الديمقراطية مجموعة حقوق، في حين أن الاسلام مجموعة واجبات نحو الله أي أن الاسلام يقوم على الايمان بالله والاحتكام إلى سلطته بينما الديمقراطية تقوم على نفي السلطة الله لحساب الشعب فيجب " النظر إلى الديمقراطية من خلال ثلاث نقاط: من حيث كونها شعورا ذاتيا للإنسان، ومن حيث كونها شعورا اتجاه الآخرين ومن حيث كونها مجموعة ظروف اجتماعية وسياسية وضرورية لتكوين وتفتح مثل هذه المشاعر لدى الفرد.

ويشير مالك على أن الانسان وتغيير ما بنفسه، وعلى أن يعرف الانسان نفسه بنفسه فيعمل على قتل هذه القابلية الخبيثة للاستعمار واستعباد من خلال عناصر التحرير السياسي المتمثلة في اعتزاز الثقة المسلمين بأنفسهم أولا، وتحرير ذاتهم من الضعف والهوان ومركب النقص ثانيا، ومحاولة التخلص من النظرة السائدة إزاء الغرب، على أساس أنه الغازي المتفوق عسكريا وعلميا وحضاريا.³

فإذا كانت الحياة السياسية في العالم الاسلامي تحتال على شعوبها من ابتزاز المال وعملت على محاربة العلماء والمفكرين واغتيال العقل البشري، حيث يرى الاستشراق الانسان العربي ميال للتناحر وأنان، وحسب هواه

¹ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر نفسه، ص 153.

² مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 5، 49، 48.

³ مالك بن نبي، الديمقراطية في الاسلام، تر: نجيب و رشاد النوري، مطبعة تونس، قرطاج، ط1، 1983، ص 28، 29، 30.

وأحلامه، فقد صور الاستشراق السياسي الذهن العربي على أنه يختلف عن الاوربي في تصور عن أخذ القرار السياسي الصائب.¹

لذلك أكد الاستشراق على ضرورة مراجعة النصوص التاريخية ودراستها دراسة موضوعية وعلمية والتفريق بين السلطتين المدنية والدينية، وتجنب الحكم الفردي " وينبغي ألا نستحي من استحسان الحق، من أين أتى، ومن الأجناس القاسية عنا..."²

المبحث الثالث: موقف مالك بن نبي من الاستشراق.

يجب تحدد مصطلح المستشرقين على أنه: الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي وعن الحضارة الاسلامية" كما تم الاشارة على ذلك في المبحث السابق على أن أسماء المستشرقين تنقسم بين طبقة القدماء وطبقة المحدثين، وهناك طائفة منصفة مادحة للإسلام والمسلمين والعرب وطائفة أخرى حاقدة، وهو موقف لا يخلو من المعيارية والانطباعية وهذا من الناحية الشكلية، أما من الزاوية المضمونية فإن الموقف يرصد البعد الحضاري الأبهتمولوجي للمرجعية الغربية.

لقد التزم الكاتب منذ بداية الأولى في كتابه " انتاج المستشرقين " بأن لا يتعرض إلى الاستشراق قديما، إلا أنه تطرق على هذه العلاقة بين الشرق والغرب، ورأى بن نبي أن أوروبا اكتشفت الفكر الاسلامي في مرحلتين من تاريخها: مرحلة الوسطى قبل توماس الأكويني وبعده، وقد حققت نهضتها على ضوء هذا الإرث واهتدت إلى ذلك منذ أواخر القرن 15، أما المرحلة الثانية فهي المرحلة العصرية الاستعمارية " لا من أجل تعديل السياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الاسلامية"، وهي نظرة تبدي الافتقار باعتبار أن المرحلة الأولى هي نفعية استفادة منها أوروبا وبنيت على أساسها حضارتها ونهضتها، وأن منطلق الغرب هو الشرق وهذا لا يخلو من المبالغة، وأما المرحلة هذه فهي مرحلة استعمارية هدفها ابتزاز المنطقة ماديا ومعنويا.³

وقد أكد مالك من خلال طرحه لهذا الموضوع على دهاء المستشرقين وحيلهم، و أن ما أنتجه المستشرقين لا يمكن إنكاره كقيمة علمية فعالة، بل نرى أحيانا يستحق التقدير، لما يتسم في بعض أصنافه مثل: ما خلفه غوستان لوبون و سيديو وطابعه العلمي، بطابع أخلاقي ممتاز لا يمكن تجاهله كشهادة نزيهة من طرف شهود تعرف قيمتهم كعلماء.

1 حمادية هجيرة، موقف مالك بن نبي من الاستشراق، رسالة ماستر، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص 52، 4351.

2 يعقوب بن اسحاق الكندي، رسائل الكندي، دار محمد علي، تونس، (د.ط)، 2006، ص 60.

3 مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي، المصدر نفسه، ص 18، 17، 9، 5.

وما لم يمكن اغفاله كجانب أساسي في موضوعنا هو إذا لم نأخذ في حسابنا أن كل ما ينتجه العقل في القرن العشرين الخاضع لمقاييس الفعالية لا يخلو من بعد عملي قد يشتغل في مجال السياسية والانتفاع، حيث تصبح الأفكار ما سما منها وما كان تافه مسخرة لتكون وسائل اقتضاض الضمائر واستغلال العقول.

إن الكتب التي تم تأليفها سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة، تقع أحيانا دون علم منتجيتها في أيدي متخصصين يسخرونها لخدمة الصراع الفكري فيتم توظيفها كأدوات للمشغبة وللتحليل الأخلاقي، ولا يبدو هذا التنسيق يلفت النظر حتى في البلاد التي تعاني من آثار الصراع الفكري، ودون شعور من هذه البلاد بالوسائل التي يتم توظيفها في هذا الصراع ولا بأهدافه، بل ولا يوجد معنى لهذه الكلمة نفسها بنسبة لها كأنها مجرد مفردة¹.

ومن هنا يمكننا القول بأن الكاتب يبين لنا مركب النقص الذي أصاب الضمير الاسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية وأمام رياح الاستشراق، وهذا لأثر على رغم من أنه جاء مادحا ومدافعا عن الاسلام والمسلمين، إلا أنه انعكس على المجتمع الاسلامي بطريقة غير محمودة حسب اعتقاده " ولكي نتصور هذا الاثر على صورته الحقيقية في مجتمعنا الاسلاميين يجب أن نعيد هذا النوع من الاستشراق إلى مصادر التاريخية.

كما أنه يجب ملاحظة أيضا أن العالم الاسلامي أصبح في ظل هذه الملابسات يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية، ويعاني بسببها على وجه التخصيص أثنين:

" مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية، ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة"

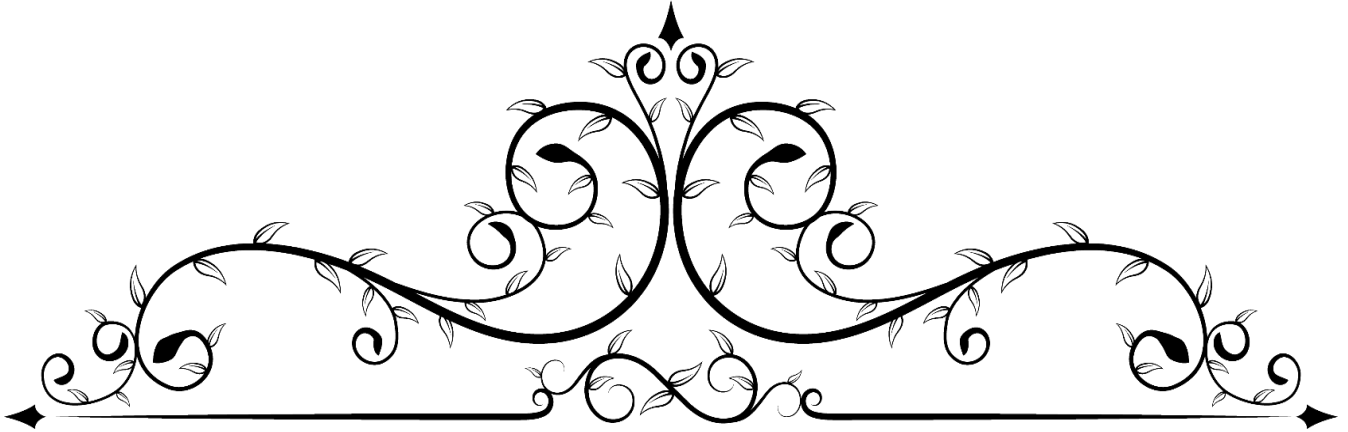
ومن تداعيات ذلك كانت الآثار المنعكسة على الذهنية العربية الاسلامية على غرار الشلل الثقافي وتقليد الآخر، وظهور الفشل بسبب صور الانهزامية أمام الزمن الثقافي الغربي، يضاف إلى ذلك الاعتقاد بأن النجاة تكمن في الانصياع وتتبع ثقافة الغرب، وشعور بتفوق على الآخر، مما يؤدي إلى انتحال الآخر بكل قيمه ومظاهره وأذواقه وسلوكه من الحضارة الأوروبية باعتبارها قطب التقدم، والمجتمع المسلم يمثل الخمول والانهزامية يشير لنا بن نبي بأن الانتاج الاستشراقي بكلا نوعيه كان شرا على المجتمع الاسلامي، لأنه كان سبب في خلق عقدة الحرمان لدى الفرد المسلم سواء بأسلوب المديح التي أبعدتنا عن واقعنا وجعلتنا في متاهة الماضي منغمسين في نعيم وهمي أو في صورة التنفيذ ونقد وتقليل من شأن العالم الاسلامي ومجتمعه وأصبحنا مجتمعنا منهار، بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعا ولكن دون هوادة.²

¹ مالك بن نبي، القضايا الكبرى، المصدر السابق، ص194، 193.

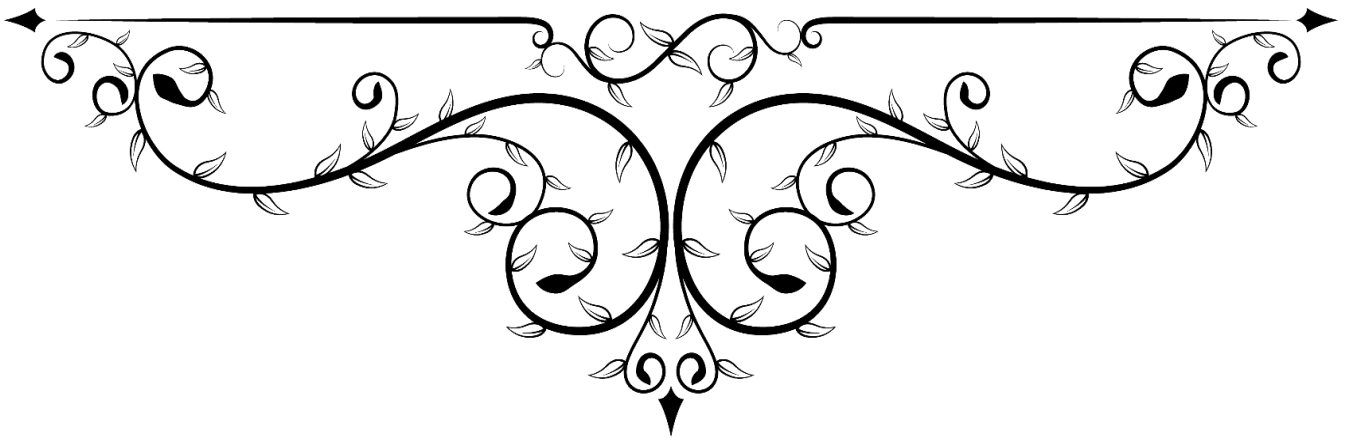
² مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي، ط1، دار الارشاد، 1969، بيروت، ص8، 25.

ولكن خوفه يكمن في من يستخدم انتاجهم لأهداف خاصة في عالمنا إذ "كل فراغ ايدولوجي لا نشغله بأفكارنا، ينتظر أفكارا منافية معادية لنا" اضافة إلى تحول الاستشراق عن مساره أحيانا عند بعض المستشرقين الغربيين من اعتبار علما لدراسة الشرق، إلى وسيلة لنفي هوية المجتمع المسلم وهويته وإنتاجه ومساهماتهم الحضارية، مع التأكيد على أن الشرق مبنى على أساس العجز واتكال وخمول، وإن أخطر استشراق فيما يسمى بالهوى السياسي والديني هو "الذي يعرضه المستشرقين في مناهجهم ذات طابع علمي كما يدعون، فهو يرغب بعض المثقفين في تبنيها بكل حماسة وقوة، وغاية هذا الهوى السياسي والديني هو في هدم الأصول والدعائم التي بنيت عليها الثقافة الاسلامية".¹

¹مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، المصدر السابق، ص22.



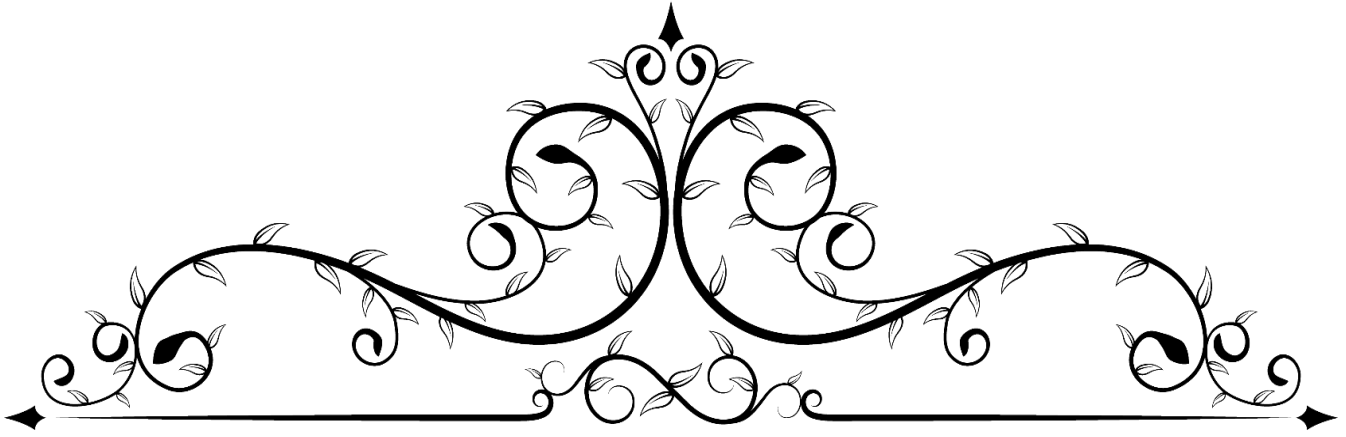
الخاتمة



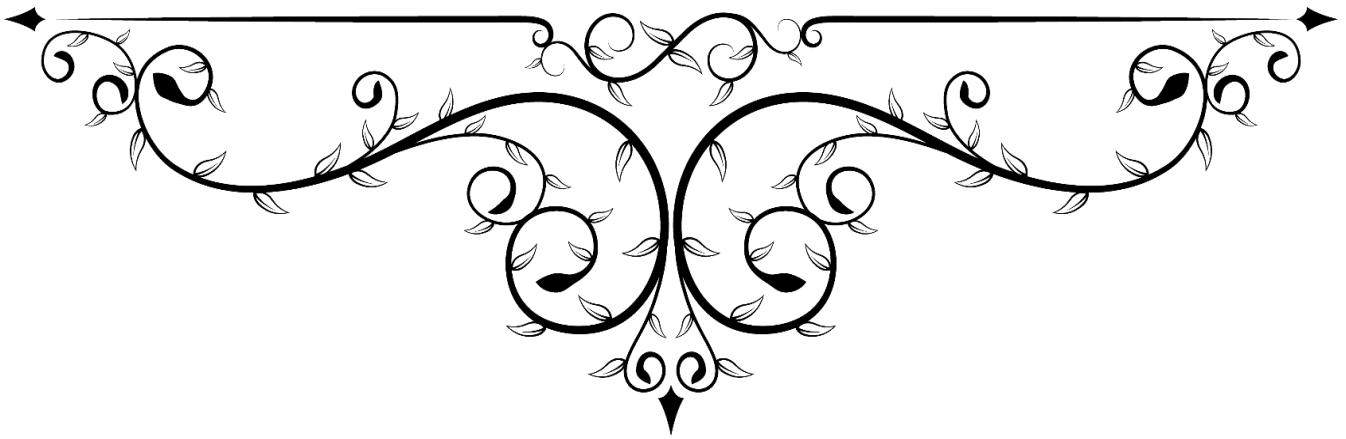
من أهم النتائج التي توصلنا إليها هي:

- يعتبر مالك بن نبي مفكراً من أكثر المدارس الفكرية التي كان لها أثر واضح في تحديد وضع بدايات الفكر الإسلامي الحديث خاصة أنها مدرسة اهتمت أكثر من غيرها في دراسة مشكلات الأمة الإسلامية انطلاقاً من رؤيته الحضارية الشاملة التي يسعى من خلالها إلى بناء مستقبل واضحة معالمه.
- نشأ بن نبي في بيئة بسيطة وفقيرة لكنها محافظة على الدين الإسلامي كبقية الأسر الجزائرية، حيث عايش فترة الاستعمار الفرنسي وأوضاعها المتدهورة التي شملت جميع مجالات الحياة (السياسية، الاقتصادية الاجتماعية، الثقافية)، فتعلم ودرس في المدارس الفرنسية إلا أنه بقيت فيه الروح الإسلامية التي غرستها عائلته في نفسه منذ الصغر، لذا تميز عن غيره بحب الاطلاع وتعلم حتي خارج تخصصه إضافة إلى تفوقه ونجاحه على الطلاب الذين كانوا في دفعته، إلا أنه لم يمنح درجة النجاح الحقيقية لأنها قدمت لزميله الفرنسي وكل هذا راجع لتمييز العنصري، ومن هنا نستطيع القول بأن كل ما عاشه بن نبي في حياته من تجارب ساهمت سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين وتشكيل شخصية بن نبي، حيث شعرت هذه الشخصية العظيمة بمسئوليتها في مواجهة كل هذه الظروف القاسية ومحاوله وضع حلول جذرية لتخلص من بقايا الاستعمار.
- مواجهته للعراقيل التي كانت تسلطها الشبكة الاستعمارية المسمومة للقضاء على نجاحه وتحطيم مستقبله بكل الأساليب والوسائل ولعل من بين هذه العراقيل المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون حيث اشارة إليه الكاتب (في كتابه العفن) وتحدث عن دعوته لملك ورفضه لها مما جعل ماسنيون يقف في وجه أي نجاح يسعى إليه، ليس هذا فقط بل تمكن من طرد والد بن نبي من وظيفته انتقام من مالك مما سبب له معاناة في حياته وحياة عائلته.
- حاول محاربة الاستعمار بقوة تفكره وخبرته في هندسة هذه الافكار بطريقة تكشف نوايا الاستعمار الخفية ومخططاته الاستعمارية الموجهة ضد المستعمرة اعتماداً على تجربته الشخصية التي خاضها في هذه الفترة.
- هجرته إلى مختلف دول العالم التي أكسبته الخبرة العلمية وأهمته أفكار جديدة استنتجها من كل محيط يعيش فيه مدة معينة.
- دعوته لتعاون بين الافراد والمجتمع ككل في العمل وتطبيق مبدا الفعالية في حياتهم اليومية، وتحرر من السلبية العالقة في حياة الفرد من تكاسل والخمول وتخلص من مصطلحات التي أطلقها الاستعمار على المستعمر وما تحمله من معاني الاحتقار وتذليل للفرد مسلم.

- يعاني الفرد المسلم من السلبية واللامبالاة اتجاه واقعهم المتدهور ومستواهم المتدني، الذي يتم معالجته ببرجع إلى الاسلام وليس بالبتعاد عنه لأنه هو الحل الوحيد القادر على تغيير لقوله تعالى " إن الله لا يغير ما يقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم" لذلك يفرض الاستعمار قيود على الاسلام بكل الطرق من خلال إغلاق المساجد و منع الزوايا والكتاتيب من تدريس القرآن..
- يرى مالك أن انتاج المستشرقين على الرغم من إيجابياته التي قدموها في الجانب العلمي إلا أنه يبقى وسيلة لخدمة الاستعمار، ليس هذا فقط بل إنكار هوية المجتمع الاسلامي ومساهماتهم الحضارية، والآن يتضح أن انتاج المستشرقين بكلا نوعيه (المادحين أو المنتقدين) كان شرا على المجتمع الاسلامي لأنه ركب في نفس الفرد المسلم عقدة الحرمان التي حولت تأملتنا عن واقعنا ومشكلاته وانغمسنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، " إن كل فراغ ايدولوجي لا تشغله أفكارنا، ينتظر أفكارا معادية لنا".
- نصح بوضع تخصص في جامعة الجزائرية للبحث في فكر بن نبي و تعمق في مختلف مشكلاته الحضارية مما جعل لطالب الأكاديمي له خلفية حول المشكلات الحضارية وحلولها.
- على الرغم من سلبيات المعامل الاستعماري وانعكاساته إلا أنه ساهم في ايقاظ الشعب المستعمر (انسان ما بعد الموحدين) من نومه العميق الذي يعاني منه منذ سقوط دولة موحدين وانتفاض وتمرد لمواجهة العدو المستعمر، أما قابلية الاستعمار فهي معامل نفسي داخلي يجعل الفرد في حالة من الهزيمة النفسية حيث يقبل الحدود التي يرسمها له الاستعمار ويرضى بمصطلحات التي تقلل من شأنه لذلك يقول بن نبي "أخرج الاستعمار من أنفسكم يخرج من أرضكم".
- سيكولوجية الاستعمار هدفها الحط من قيمة الفرد وإفساد أخلاقه وتخطيم معنوياته ولعمل على تحقيق ذلك عن طريق تسخير مدارس تخرج الطلبة القابلين للسيطرة الأجنبية، أما عن الصراع الفكري في البلاد المستعمرة يستغل جهل الجماهير الذين يجهلون حقيقة هذا الصراع و مخاطره عليهم، فقد تجد أحد الأفراد المصلحين أو حتي بعض المثقفين من المستعمرة يجهل واقع هذا الصراع بل قد يشاركون فيه دون شعورنا منهم
- إن دراسة فكر مالك بن نبي ومحاولة اجازة في بحث قصير يعتبر بالأمر القليل والبسيط الذي مزال يحتاج إلى دراسة أوسع في بحث أكبر ربما قد تكون أفضل، لهذا أقدم بحثي هذا كدراسة بسيطة موجزة لطالب العلم لأخذ فكرة عامة أو نقاط أساسية للاستفادة منها.



الملاحق





في زيارة الأمير عبد الكريم الخطابي مع مجموعة من الطلاب المغاربة واللبنانيين-
صبيحة العيد. من اليمين: د. عبد السلام الهراس- عمر مسقاوي- مالك بن نبي.

(انظر: في صحبه مالك ابن بي مسار نحو البناء الجديد، عمر دامل مسقاوي



Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Affairs

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

دالت بن بليلى دة خنابا عمرد (الاستعمار والامستراق)
انموذجاً (1905 - 1973 م)

إعداد الطلبة:

1- محمود حميدية رقم التسجيل: 1616 35 09 8461

2- رقم التسجيل:

القسم: التاريخ الشعبة: التاريخ التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر
إشراف: الرتبة:
معلمتي أصل

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-
2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وامضاء المشرفة(ة):

رئيس القسم



كلية العلوم
الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

University Mohamed Boudiaf of M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: 2021/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): رحمة حسيبة

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم):

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 2003 34255

الصادرة بتاريخ: 24 04 2016 عن دائرة: مغرة

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي العام تحت رقم التسجيل: 161635098461

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: مالك بن نبي وفتاها عصره (الاستعمار

والاستعمار وافتتاح المسودات
(1905 - 1973 م)

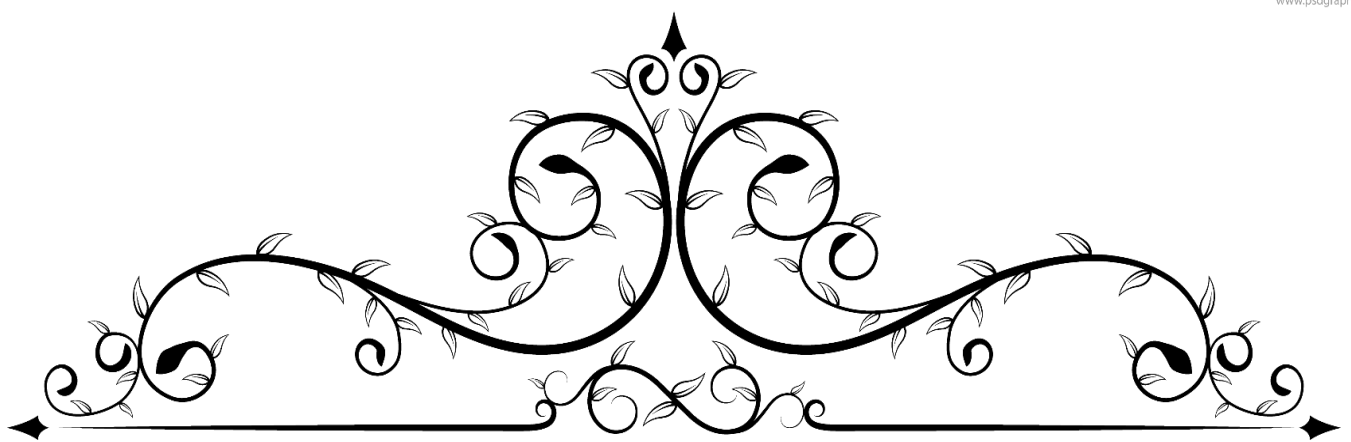
اصح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة

الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

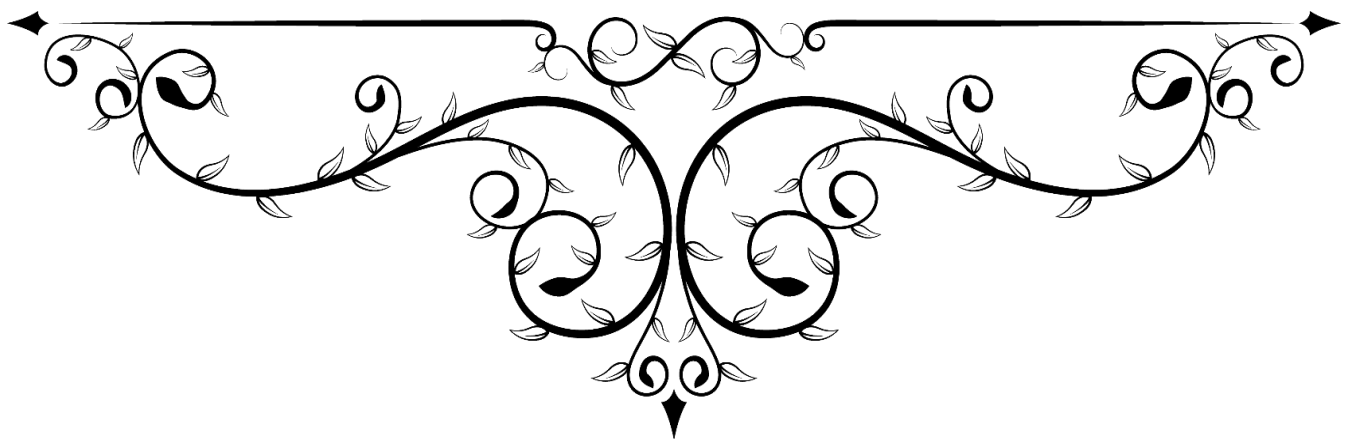
المسيلة في:

امضاء المعني(ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.



فهرس الأعلام



(حرف الألف)

- أبي الوفاء: ص 39.
- أحمد خان:ص21.
- أحمد شعبو:ص19.
- أرلوند توينبي:ص42.
- اسحاق موسى الحسيني:ص37.
- إيمان:ص13.

(حرف الباء)

- ابن تيمية:ص21.
- بسام بركة: ص 19.
- بشير الابراهيمى:ص16،26.

(حرف التاء)

- توماس الأكويني: ص 38،44.

(حرف الجاء)

- جمال عبد الناصر:ص12.
- جمال الدين الافغانى:ص15.
- جرير ديباك:ص38.
- جولد سهير:ص38.
- جون ديوي:ص9.

(حرف الخاء)

-حمودة بن الساعي:ص11،10.

(حرف الخاء)

-خديجة:ص11.

(حرف الدال)

-دوزي:ص39.

(حرف الراء)

-رحمة:ص8.

(حرف ساء)

-سارذن:ص38.

-سيديبو:44،39.

السيد الحرير:ص19.

(حرف الشاء)

-شكيب أرسلان:ص12.

(حرف العاء)

-عبد المجيد:ص9.

-عبد الحميد بن باديس:ص9.

-عبد الصبور شاهين:ص13،15،20.

-عمر كامل مستقاوي: 13،14،19.

-عبد السلام الهراس:ص13.

-عبد الوهاب:ص21.

-عبد الراحمن الكوكبي:ص10.

(حرف الغاء)

-غوستان:ص44.

(حرف القاء)

-قاواو:ص10.

(حرف الكاء)

-كاو دوقو:ص38.

(حرف الماء)

-مصطفى السباعي:ص21.

-ماتسو تونغ:ص41.

-محمد عبدة:ص10.

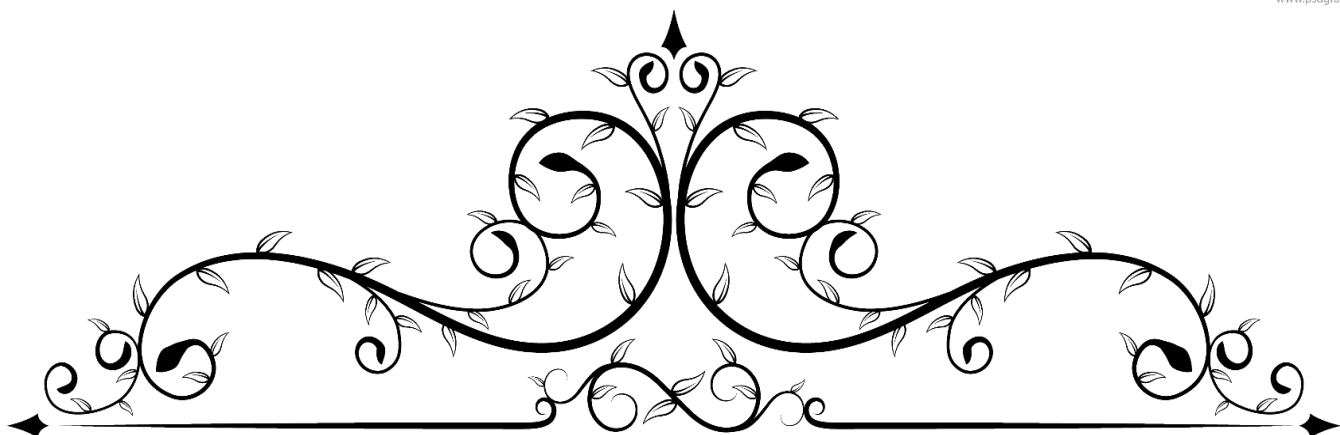
-ابن منظور:ص26.

-مالك بن نبي:ص38،23،17،16،15،14،13،12،11،10،9،8،
43،41،40،34،32،30،29،28،27.

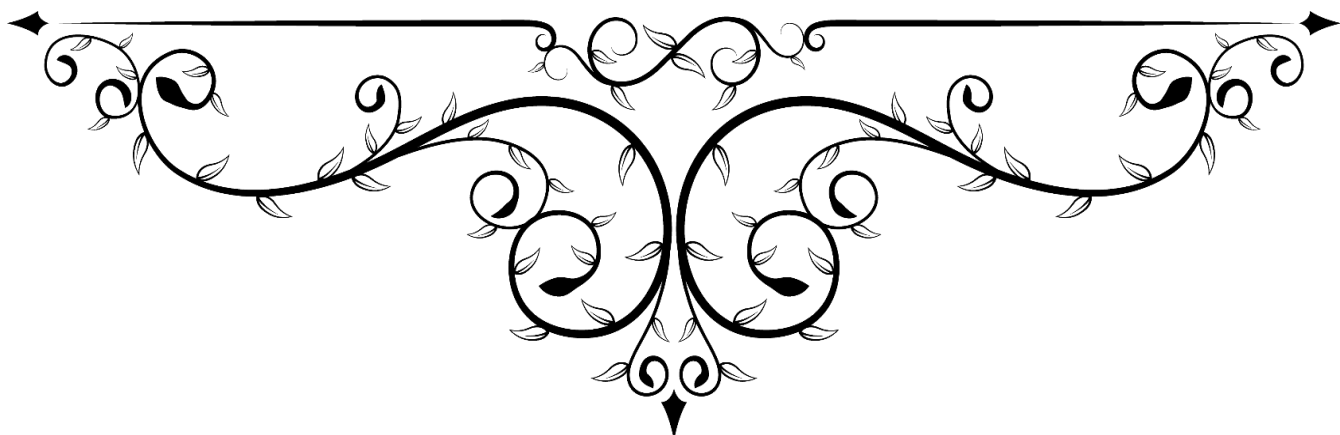
(حرف الهاء)

-هيجل:ص42.

-هيربرت:ص28.



قائمة المصادر والمراجع



أولاً-المصادر: مؤلفات مالك بن نبي.

1. القرآن الكريم.
2. بن نبي مالك، شاهد القرن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984.
3. بن نبي مالك، القضايا الكبرى، ط1ن دار الفكر، دمشق، 1991.
4. بن نبي مالك، الظاهرة القرآنية، ط4، دار الفكر، دمشق، 1987.
5. بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، ط1، تر: عبد الصبور شاهين، دار الراية، تونس.
6. بن نبي مالك، من أجل التغيير، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995.
7. بن نبي مالك، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي، ط1، دار الارشاد، 1969.
8. بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، ج1، تر: عبد صبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 1986.
9. بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في لعالم الاسلامي، تر: بسام بركة. وأحمد شعبو، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002.
10. بن نبي مالك، وجهة العالم الاسلامي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002.
11. بن نبي مالك، الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط3، دار الفكر، دمشق، 2001.
12. بن نبي مالك، تأملات، ط1، دار الفكر، دمشق، 1979.
13. بن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الفكر، دمشق، 1987.
14. بن نبي مالك، فكرة كمنويلث اسلامي، ط1، تر: الطيب الشريف، ط2، دار الفكر، دمشق، 1960.
15. بن نبي مالك، الرشاد والتهيه، ط1، دار الفكر، دمشق، 1978.
16. بن نبي مالك، شروط النهضة، د.ط ، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد صبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986.
17. بن نبي، في مهب المعركة، ط3، دار الفكر، دمشق، 2002.

18. بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر، دمشق، 1991.
19. بن نبي، الصراع الفكري، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، بن مرابط، الجزائر، د.ط
20. بن نبي مالك |، العفن، ط1، ج1، تر: نور الدين خندودي، دار الأمة، الجزائر.
21. بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984.
22. بن نبي مالك، الديمقراطية في الاسلام، ط1، تر: نجيب ورشاد النوي، مطبعة تونس، قرطاج، 1983.
23. بن نبي مالك، لبيك حج الفقراء، تر: زيدان خويلف، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009.
24. بن نبي مالك، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، د.ط، دار الفكر، دمشق، 1981.

ثانياً_المراجع:

أ-الكتب المطبوعة:

1. ابراهيم عبد الرزاق عماد الدين، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، ط1، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، 2009.
2. ابن اسحاق الكندي يعقوب، رسائل الكندي، د.ط، دار محمد علي، تونس، 2006.
3. بريون فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ط1، دار الفكر، دمشق، 2010.
4. البنيادي محمد، مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الهراس، ط2، دار الشامية للنشر والتوزيع، 2012.
5. زقروق محمد أحمد، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، دار المنار، القاهرة، 1989.
6. السباعي مصطفى، الاستشراق ما لهم وما عليهم، د.ط، دار الوراق، د.ت.

7. سعيد ادوارد، الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، ط1، دار بنخوين العالمية، القاهرة، 2006.
8. السحمراني أسعد، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، دار النفائس، بيروت، 1984.
9. شاويش محمد، مالك بن نبي ووضع الراهن، ط1، دار الفكر، دمشق، 2007.
10. شمري غازي، ياشوش جعفر، مالك بن نبي بين التمثيل والابداع، ط1، دار نينوى لدراسات، دمشق، 2017.
11. عبدة محمد، مالك بن نبي، مفكر اجتماعيا ورائد اصلاحي، ط1، دار القلم، دمشق، 2006.
12. علي محمد اسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ، ط3، مدرسة الدعوة والثقافة العلمية، المنصورة، 2000.
13. لحرش موسى، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي في افكر مالك بن نبي، د.ط، مطبعة الجهوية، الجزائر، 2008.
14. محمد محمد عوض، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، (د.ط)، دار الكتاب العربي، مصر، 1953.
15. ميلاد زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1998.
16. مسقاوي عمر كامل، مقاربات حول فكر مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 2008.
17. مسقاوي عمر كامل، في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء والتجديد، ط1، ج1، دار الفكر، دمشق، 2013.

ب- القواميس:

1. أنيس ابراهيم وآخرون، معجم الوسيط، ط2، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1982.

2. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
3. عطية الله، القاموس السياسي، ط4، دار النهضة العربية، 1980.

ج- الموسوعات:

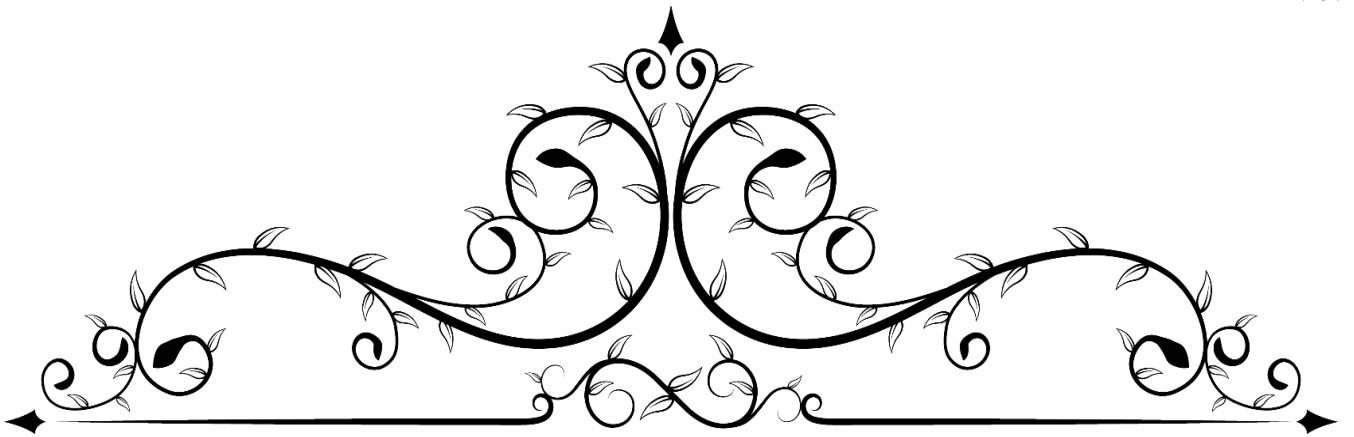
1. كيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ط4، دار الشفيق ، 1989.
2. النملة علي بن ابراهيم الحمد، موسوعة الدراسات الاستشراقية، الاستشراق والدراسات الاسلامية، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، 1989.

د- رسائل الجامعة:

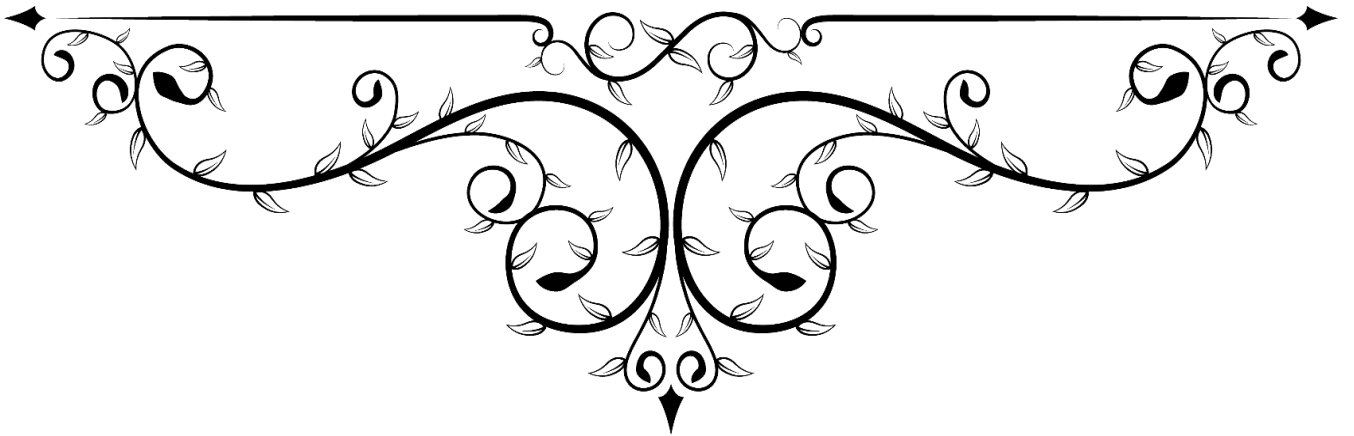
1. حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، الجامعة الاسلامية، غزة، 2005.
2. حمادية هجيرة، موقف مالك بن نبي من الاستشراق، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016/2015.
3. العابد ميهوبي، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2014.
4. قويدر بوسويلف، الطاهر ابرير، مالك بن نبي رجل فكر واصلاح(1905-1973)، مذكرة ليسانس، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2013.

د - الدوريات:

- 1- برامه احسن ثنائية القابلية للاستعمار والفعالية في فكر مالك ابن نبي مجلة المعيار كلية اصول الدين جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية المجلد 23 العدد 46 ، 15 مارس 2019



فهرس الموضوعات



إهداء

شكر وتقدير

المقدمة ج

الفصل الأول: نبذة عن حياة مالك بن نبي

المبحث الأول: مولده ونشأته..... 5

المبحث الثاني: تعليمه وهجرته (تعليمه)..... 6

أ - تعليمه..... 6

ب- هجرته(1930-1956)..... 8

المبحث الثالث: إنتاجه الفكري..... 11

الفصل الثاني: الظاهرة الاستعمارية

المبحث الأول: معامِل الاستعمارية..... 23

1-تعريف الاستعمار:..... 23

2-أنواع الاستعمار..... 23

3-معامِل الاستعماري..... 23

المبحث الثاني: القابلية للاستعمار..... 25

المبحث الثالث: سيكولوجية الاستعمار..... 27

الفصل الثالث: الاستشراق من منظور مالك بن نبي

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق..... 34

36 مبحث الثاني: مجالات الاستشراق.

36 أ-المجال الحضاري:

38 ب-المجال الاقتصادي:

39 ج-المجال السياسي:

42 المبحث الثالث: موقف مالك بن نبي من الاستشراق.

40 الخاتمة.